

# الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - طابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في المراق بالبريد السريع  
١ نمن للمعد الواحد

الاعهونات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد: ٤٣٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ شوال سنة ١٣٦٠ - الموافق ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤١ » لجنة للتاسمة

## أدب اليوميات

للأستاذ عباس محمود العقاد

## الفهرس

(١) ... هل تكتبون مذكرات يومية ، أو هل في نيتكم كتابة مذكرات أو تدوين ترجمة لحياتكم الحافلة كما يفعل كتاب الغرب ؟ وهل لا توافقونني على أن كتاباً كهذا تصفون فيه ما صادفكم من عقبات وما تغلبتم عليه من الصعوبات ، وتقصون فيه ما لا يعرفه الكثيرون عن حياتكم الشخصية والأدبية والحياسية يكون درساً مفيداً لشبان هذا الجيل والأجيال المقبلة ؟

(٢) هل معنى عدم إقدامكم على الزواج إلى الآن أن الحياة الزوجية تقيد رجل الفكر أو تشغله عن أداء رسالته ، أم أنكم لم تهتدوا إلى المرأة التي ترونها النثل الأعلى لزوجات الفكر ؟

(٣) لكل إنسان آماني وآمال ومطالب ، ومطالب من طاش لا تنتهي ... وهي تختلف باختلاف الأحوال والأيام ؛ ولكن ترى ما هي أعظم أمنية تتوقون إليها في الحياة ؟

(الأسكندرية) أحمد هيب اللطيف الحضاراي

بالمعهد البريطاني

\*\*\*

هذه فقرات من رسالة وصلت إلى من الأديب صاحب الإمضاء المتقدم ، وفي الجواب عن بعض أسئلته ما يصح أن

صفحة	
١٣٨٩	أدب اليوميات ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٣٩٢	أومن بالإنسان ! ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف
١٣٩٦	الغزل . والريف . وشمس : الأستاذ راشد رستم ...
١٣٩٨	ديوان البارودي ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٤٠١	البحر ... : الدكتور حسن عثمان ...
١٤٠٣	مواسم الأدب ... : الأستاذ كرم ملحم كرم ...
١٤٠٥	جيل نخلة للندور ... : الأستاذ كوركيس عواد ...
١٤٠٨	تيموستوكل ... : الأستاذ محمد الشحات أيوب
١٤١٠	للصربون المحدثون : ... : { الستمرق إدور وليم ليرت شمالهم وطادتهم ... : { بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٤١٣	الطير المهاجر [قصيدة] : الأستاذ عباس محمود العقاد
أريد ...	الأديب أحمد عبد الحميد الغزال
١٤١٥	إقتراح صرغوع إلى جامعة ... : { الأستاذ الشيخ محمود شلتوت كبار العلماء ...
١٤١٦	مؤتمر الأديان في لندن ... : ...
وفاة موريس ليلان ...	...

يشارك فيه حضرات القراء ، لأنه من موضوعات الكتابة العامة التي تطرق في الكتب والمجلات وأول هذه الأسئلة سؤاله عن المذكرات اليومية وما أدونه منها الآن أو بعد حين

وجوابي عن هذا السؤال أنني بدأت حياتي الأدبية — منذ الدراسة الأولى — بكتابة المذكرات والتعليقات على ما أطلع وأشاهد في كل يوم ، وإنني لم أقطع عن كتابة هذه المذكرات إلا في السنوات الأخيرة التي لا تتجاوز خمس سنوات

فأول كتاب صدر لي هو « خلاصة اليومية » واسمه يدل عليه . فقد كان تلخيصاً لما أُنبت في مذكراتي اليومية من الآراء والملاحظات والأصول التي أتانا لها بالتوسع إذا خصصتها بالكتابة ثم ألفت كتابي « ساعات بين الكتب » وهو غير الكتاب الذي طبع بعد ذلك بهذا العنوان . فإما كان الكتاب الأول تليقات على للقراءات التي تفرغت لها وأنا مقيم في أيام الحرب الماضية بأسوان ، ولم يكن مجموعة مقالات أو فصول نشرت في الصحف كالكتاب الذي يحمل الآن هذا العنوان

لكن المذكرات اليومية نوعان وليست بنوع واحد ؛ فهذا الذي ذكرته مقصور على شئون الفكر والقراءة كأنه فصول صغيرة أو موضوع متفرق في عدة صفحات ، وهو النوع الذي أكثرت من الكتابة فيه ، وعندى منه الآن مجموعة صالحة في انتظار للطبع كما هي ، أو في انتظار للتوحيد والتأليف ، لأنها تصلح لهذا وذاك

أما النوع الآخر وهو المذكرات عن حوادث الحياة وعوارضها فلم أشرع في الكتابة فيه إلا مرة واحدة طالت بضعة شهور ؛ ثم مرقت ما كتبت وأحرقته ولم أعد إلى تجربة الكتابة في هذا النوع مرة أخرى ، ولعل لا أعود

ولكني لا أحكم على أدب اليوميات كله بالتمزيق والإحراق من أجل أنني اضطررت إلى تمزيق ما كتبت وإحراقه ؛ لأن أسبابي غير أسباب الآخرين ، وموانئ غير موانئهم ، والمخطورات التي أقيها غير المخطورات التي يتقونها

فالواقع أنني من أربغ للناس في قراءة اليوميات والانتفاع بها ، وهي في اعتقادي أنفع للقراءات للمؤرخ والمستطلع لأحوال

الأمم وسرائر النفوس ، ولا سيما المكتوب منها بخلوص نية لا يشوبها التكلف والزياد ، ومظم كتاب اليوميات ممن يتوخون خلوص النية وصدق الرواية عندما يخلون إلى صفحاتهم الخفية ، لأن المسألة عندهم « ظاهرة نفسية » أشبه بالتوجه إلى محراب الاعتراف ، وكأنهم يخفون أعباء ضمائرهم بإلقائها في صفحات مسجلة يرضون إليها ويؤمنون بصدقها وأمانتها — كما يخفف الإنسان أعباء ضميره بالإفشاء إلى صديق أمين ؛ فهم مسوقون إلى صدق الكتابة بهذا الشعور للمجيب التي لا يستريح إلى غير الأمانة ، وفي هذه الراحة ضمان للقارئ أو ضمان للحقيقة أقوى من ضمان المحاسبة والبيئات

واليوميات أدب مستفيض في اللغات الأوروبية عامة وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية ، وهذا الأدب موضع دراسة المؤرخ والناقد النفساني ، والفيلسوف ، والباحث العلمي ، وكل من تعنيه سير الجماعات والأفراد ؛ يشتركون في دراسته وبمجهته تارة لبيان الأسباب التي تدعو الناس في فترة خاصة من الزمن إلى تدوين مذكراتهم والتكفوف على أسرار ضمائرهم بمنزل عن الجماهير وشواغلهم العننية ، وتارة لتحقيق الواقع واستكشاف دخائل الرجال ، وتارة أخرى للمقابلة بين أحوال الجو في البقعة الواحدة بين زمان وزمان ، ويأتون في جميع هذه التعليقات والتخرجات بما يلذ الوقوف عليه ويفيد !

وما من كاتب يوميات في الحقيقة إلا وهو ظاهرة نفسية كثيرة البدوات والغرائب ، كثيرة الجوانب التي تتعلق بها مباحث النفسانيين والحكماء . وقد أشرت إلى طرف من ذلك في مقدمتي للجزء الثالث من مذكرات أحمد شفيق بإننا رحمه الله حيث قلت عن يوميات سمويل بيبيز Samuel Beypys أنها موضع الحيرة عند بعض النقاد ، « فلام قادرون على أن يميزوا بأنه كتبها لنفسه ، لأن الإنسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا م قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة ، لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة أقرباته ، كان معروفًا أنه يخفيها أشد الإخفاء ويود لو يتمعبها بالحو والنسيان »

ثم ضربت لذلك أمثلة شتى منها أن مسألة من المسائل الليتية

المحاكمات والمصادرات وأحرقت معمارسات شتى وصوراً وأوراقاً لها في حياتي الخاصة أثر لا يزول ، وقانني بإحراق هذه وتلك نفع كبير في مراجعة الحوادث التاريخية وصيانة الذكريات النفيسة ، ولكنه أقل من الضرر الذي كنت متعرضاً له وممرضاً له غيرى لو أقيت عليها وحدث ما كنت أتوقمه بسببها على أنني ودعت كتابة اليوميات ولكني لم أودع كتابة للذكريات أو كتابة ما يقول عنه الأديب صاحب الخطاب أنه قصة من الحياة الشخصية والأدبية والسياسية تكون درساً مفيداً لشبان هذا الجيل والأجيال المقبلة

ففي نيتي وأمام ذهني كتاب كبير أكرسه على أجزاء منفصلة وأفرغ كل جزء منه لتأخيه محتلة تتناول حياة الأديب وحياة الضحى والنائب والسياسي معاً وحياة الإنسان في خاصته ووطنه وحياة الباحث عن نفسه وكونه وإلهه وسائر ما يتصل بالقييدة والسريرة الدينية

ويخيل إلى أنني لو فرغت سنة واحدة مكفي المؤونة استطعت أن أفرغ من أجزاء هذا الكتاب كلها بغير عناء كبير ، لأن أسوله وموضوعاته قلما تجوزني إلى مراجعات تفصيلية بسيدة من التذاكرة والوجدان

\*\*\*

تلك كلتي الموجزة في اليوميات ، وما كتبت منها وأزوي أن أكتب بد حين

أما سؤال الزواج ، فقد أجهت عنه في ( الرسالة ) جواباً ينفي فيه الإجمال عن الإسهاب ، وكل ما أزيدة هنا أنني أستغرب المصادفة التي ساقته إلى أربعة أسئلة في شأن الزواج خلال شهر رمضان ، وإن كان أحدها لا يستغرب في وقت من الأوقات ، لأنه من قديم يأتي من السيدة الوالدة على غير ميعاد ! فهل شهر رمضان — وما بعده من أفراس الأعياد — هما للسؤالان عن مصادفة الأسئلة الثلاثة الأخرى ؟

وأما أمنيته التي يسألني الأديب عنها - والله الأخير ، فلعلها لا تشرح في ذيل هذا المقال ، وأحرى بها أن توجل إلى مقال قريب ، لأنني لا أطرق منها جانباً يخصني دون غيري ؛ بل أطرق منها ما يصح أن يمتد إليه كل بحث وينظر فيه كل ناظر

هباسي محمد العقاد

كدرته فأنلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكرة تدون فيها جميع تلك الأوراق والأسانيد بأقصى ما استطاع من إسهاب وتفصيل

هذا هو المحجب ، وهذا هو موضع التأمل والدراسة ، وهذا الذي يجعل لليوميات مرجعاً صادقاً لدراس الحوادث ودارس الأخلاق .

فأنا لا أدين أدب اليوميات كله لأنني أحرقت يومياتي ولم يختر لي أن أعيد التجربة مرة أخرى

وإنما يباعد بيني وبين كتابة اليوميات أمران كلاهما حقيق بالإثبات لأنهما أيضاً من ظواهر النفسيات وظواهر الفترة التي عشت فيها

وأول الأمرين أنني غير مطبوع على التوجه إلى محراب الاعتراف ، لأنه ضرب من الاستغفار لا أستريح إليه ، أو لأنني أذكر لنفسي خفاياها وأزهرها عن البوح بها لأحد غير مستثنى من ذلك إلا القليل

فالسألة التي تلعج خاطري وتثير شعوري وتغرب إلى أعماق ضميري ليس مصرفها عندي أن أسجلها كما هي أو أفني بها إلى أذن سامع قريب ، وإنما مصرفها أن أعبّر عنها في الشعر والكتابة ، وأن أعرضها للتحليل والتعليق على وجوه شتى . فإذا حللتها واستخرجت معناها فقد استرحت منها وتحتت مفاقتها ولم يبق فيها عندي موضع للمعالجة والاستقصاء

ورب كارثة نفسية من اللقيات للتعذات تسكن كما يسكن للبحر الهائج في لحظة واحدة ساعة انتهائي إلى مقطع الرأي فيها ، أو ساعة علي بما يبغي أن أقابلها به من عمل . وهذا الذي يتوب في طبيعتي مناب الإفشاء والبوح وما أحبه التوجه إلى محراب الاعتراف أما الأمر الثاني الذي دعاني إلى إحراق يومياتي فهو راجع إلى حوادث الفترة التي نعيش فيها لا إلى البواعث الخلقية

وخلاصته أنني دونت تلك اليوميات لأستمع بها على تاريخ الفترة وتحليل أخلاق رجالها . ثم رأيت في أثناء الثورة الوطنية ويدها بقليل أن ملفتي اللهم ومدبري المكائد يستمينون بأشكال هذه اليوميات على طبع القضاء وإخراج الأبرياء ، وظهر لي أن إثبات ملاحظاتي على رجال الفترة من السر بمكان مع تعرض اليوميات للمصادرة والسؤال ، فأثرت إحراقها أيام اشتداد

## ١٢ - أومن بالإنسان !

## الأستاذ عبد المنعم خلاف

التحرر من التاريخ — نحن غير اليائدين — تلاميذنا أصبح علماء بالطبيعة من أرسطو — العلوم والفنون ليست تخفياً تفتنى منفصلة عن النفس — لا بد من قلوب حديثة — من جرائر التاريخ — الانسان يصنع أقداره — إستطراد إلى مشكلة القدر — إلى للتطرين هتتا من غير قوسهم — الآن فقط وجد الحق أدوات الدعوة لتصحیح الأفكار من الحياة — مباب التاريخ يحرف الطفولة النضرة مع الجيف التذرة ! — لا مقر من منزل الطفولة لتصحیح أفكارها — مناقضات بين ما في الشوارع وما في الجامعات — صورة من دراستنا الحالية لتاريخ — طبائع مدلسة ليست بنت زمانها — ما يستهلكه الخير وما يستهلكه الشر — هل مضت الحاجة إلى دور الفرائز في خدمة الحياة ؟ — حرب الآلة

طالما ألححت بقلبي على التاريخ : هذا الجدار الهائل ... هذا السند القوي ... هذا المسجن المتيد ... لأحطمه وأتخذ نفسي من جوه التمس الخائق !

وطالما قلت : مادام هذا الماضي للقاصر الجاهل الخرف الوحشي يحمله الإنسان في أوعيته وأعصابه إلى الحاضر ، فهو دائماً في ضلالة القديم ، كما يعيش حامل الميكروبات الضارة دائماً في أمراض ونكسات .

والحقيقة التي يجب أن توضع نصب العيون الآن هي أن هذا الإنسان المصري هو غير الإنسان البائد بلا شك ! هو غيره في علمه وإدراكه للطبيعة وتذليله لعقبات الحياة واضطلامه بأدوات تحقيق الاحتياجات وتفتيته لكنوز الأرزاق والآتوات

فكيف يرضى أن يحمل ذات قلبه للقديم وغرأته كما كانت وأن يحمل غشاوات القرون الأولى ليميش بها في عصر الانكشاف والظهور والقدرة لفائنة ! !

كيف يرضى من ملكه زمام اليباس والبحر والجر وذرع الأرض بالطول والعرض ، ونبش كنوزها أن يعيش بأساليب التي كان لا يعرف غير طريق القرية أو النجع أو الجزيرة التي يعيش فيها ؟ إن تلاميذ المدارس الابتدائية أصبح علماء عن الأرض والطبيعة من سقراط وكوفوشبوس وأرسطو وابن سينا والفارابي وغيرهم من حكام القدماء ؛ فكيف ترضى الإنسانية الحالية أن تعيش حياتها للنضمية بأساليب جهلاء عصورهم ! !

إن التاريخ النفسى للحياة الإنسانية ينبئ أن يدرس بين غريبة عنه نائمة له في شك وارتباب . فما هو إلا سجل جهاد الناس في سبيل وصولهم إلى حقائق هذا العصر الحالي . فما يليق أن تؤخذ مرحلة من مراحلهم محطاً يطمئن الناس إليه بقولهم ؛ لأن مراحلهم السابقة كانت مراحل موضعية ضيقة خاصة بأمة ما من أمة . ولكن أصراًم للناس الآن أمر رجاعة توشك أن تنقارب أهدافها وتشتبك مصالحها وتشتجر اشتجاراً لا خلاص لفروعها منه أبت أم كرهت

هل من المعقول أن نلبس ملابس الحياة الحديثة على الأجساد ثم لا نغير ملابس النفس ؟ أنكون قروداً وبينناوات تحكي قضايا العلم الطبيعى بأسفتها وظواهرها ولا تمتلئ قلوبها ونوازعها ؟

هل يكتفى من العلم أن يقتنى في الحوافظ والذاكرات غير ممزوج ولا مدمج في الأعصاب والأحاسيس والانفعالات ، بل يوضع في الرءوس كما توضع التحف والهدى على الرفوف وللناضد للزينة والخيلاء والبيع والشراء عند الحاجة ؟

إنى أرى العلم ينبئ له أن يكون في كياننا كالماء في أحواد للشجر الحى لا يقف تمسرة إليه وتفريع حياته إلا إذا جف وأحطب ومات ... فلا شجر بدون ماء ...

إن عملية عظيمة في داخل الحياة النفسية الإنسانية ننظر لإجراءها لبناء قلوب حديثة تتلام مع الأفكار الحديثة !

\*\*\*

ومن آثار التاريخ في الحياة المصرية هذا الخلاف العنيف بين الأديان بمد ما سطمت شمس الله الواحد ... وبعد ما أدرك العقل للتناسق والانسجام والتوافق بين قوانين الطبيعة مما لا يمكن أن يكون إلا بإدارة يد واحدة !

ومن آثاره كذلك فيها أننا لا تزال نخضع لمنطق الأم التي كانت تعيش متعاجفة في سدود وتخوم تفصل بين عقولها وأخلاقها ومرافقها ، وتجعل الدنيا دنياوات ، والإنسانية الواحدة أنواعاً متباعدة ، وتجعل من اختلاف الأجناس والألوان واللغات اختلافاً أصيلاً جوهرياً بين الطبائع الإنسانية يبيح هذه المدارة الفاجرة للبرية الغريبة للممران ، ويحمل على المبانة في البطش والظفمان ونسجان للصفات المشتركة بين بني الإنسان

تأتي إلينا بدون حيلة أو خيرة منا ، ومنطقة الرضا بما نحصل عليه بمد الجهاد ...

وهنا مكان استطراد إلى مشكلة الأقدار لا بأس أن نرسل فيه بعض الحديث :

هناك أقدار نريد أن نتحقق ، وهي أقدار الخير والسعادة ، وهذه موقفنا منها يجب أن يكون كما يأتي :

أن نسمى جهدنا للتعميد لتحقيقها بالأخذ بأسبابها التي تهدينا تجاربنا إلى أنها عوامل جالبات لما نسمى إليه . فإن تحقق ما نهي فذاك ، وإن لم يتحقق — وهذا قليل نادر — علمنا أن الإرادة للملها المسيطرة على وجودنا لها غاية غير غايتنا في تلك المسألة التي نسمى لتحقيقها . والإيمان بتلك الإرادة يقضى حينئذ بالإذعان والتسليم لقدرها للمال الذي لا حيلة معه

وهناك أقدار نريد ألا نتحقق ، وهي أقدار الشر والشقاء ، وهذه موقفنا منها يجب أن يكون كما يأتي :

أن نسمى جهدنا للتعميد لدمعها بالأخذ بالأسباب التي تهدينا تجاربنا إلى أنها عوامل دافعات لما نخشاه ونتجنبه . فإن كان ما نبني فذاك ، وإن لم يكن كان علينا كذلك الإذعان والتسليم للإرادة العليا .

تلك هي مشكلة الأقدار في جانبها . وفي كلا هذين الجانبين رأينا أن على الإنسان أن يقدم جهده في التعميد لما أودعها . فإذا وقف أمامها منتظراً مكتوف اليدين مشلول للتفكير كان حرياً أن تأتي إليه أقدار الخير فلا ينتفع بها إذ لم يبذل لها جهداً من فكره وأمله ، وكان حرياً كذلك أن تنزل عليه أقدار الشر فلا يعمى لتخفيفها وأن يجزع منها جزع الذي يظن أنه كان في مقدوره أن يدفعها ولكنه قصر في ذلك ، فيظل ملوماً محسوراً ...

\*\*\*

والحياة العملية ذات البراهين البريئة من الجدليات نوحى إلينا بل تمدتنا بكلمات مقروءة مسموعة بريئة من غموض الرمز والإيعاء أن الذي ينتظر أقداره بدون أن يسعى لجلبها أو دفعها لن تكون حياته إلا حياة ذلك البدوي ساكن الصحراء الذي لا يعمل عملاً لجلب الماء، وإنما هو ينتظر سقوطه عليه من السماء ، وطبيعي ألا تكون آماله بيده ، وأن يعيش حياته ممرضاً لأخطار

ومن آثاره كذلك أن أكثر الناس لم يدرك بمدى الانتقال العظيم والترق السريع والتفاوت البعيد بين الحياة قبل القرن العشرين والحياة فيه ؛ ولذلك لا يزالون يضمرون في أنفسهم اعتقادات متشائمة في الإنسان ومستقبله ، ويدبنون في الحياة بدين الضغط وإطلاق الفرائض الخطرة والآراء المتأخرة التي تجعل الإنسان يعبّر الحياة بدون أن يجتهد في ملء نفسه بأسرار التكنولوجيا ، وفي إضافة كشف أو اختراع أو منفعة إلى ميراث الحياة الإنسانية ... وليس هناك شيء أضر على الحياة الإنسانية من زعة التشاؤم والتبرم والضغط على حاضر الإنسان ومستقبله ؛ ومن آثاره كذلك أننا نرضينا أن يعيش أكثرنا جاهلاً آمياً لا يفقه مبادئ العلم والحياة التي في رءوس العلماء مع أن نموت تلك الأسرار يتغير ويتقدم كل صباح ومساء ... وكأننا بذلك وأدنا هؤلاء الأحياء ودفنناهم كما كانت تفعل جاهلية العرب بموودة الأجساد ... وكان هذا الإهمال منا بمثابة فعل من رأى أهله يموتون ظمأً واحترقاً ، وهو على علم بمنبع ماء غزير يطفى غلثهم ولوهمهم ويحيي نفوسهم ولكنه لا يسعى إلى إنقاذهم ...

ومن آثاره كذلك أننا نميش في ذهول عما يحيط بحياة الإنسان الآن من كنوز تتفتح وأطعيب تفتح ، تترى للناس منا ينشأ بين القطارات والسيارات والطائرات والراديو والتليفون والنواصات والفتونوغراف والفتونوغراف والسينما وغير أولئك ، ثم يجهل أمرها وتركيبها ولا يدري عنها شيئاً ولا يكلف نفسه سؤال أحد عن نبيها للعظيم ... كأن ذلك شيء ناه أو أمر بدعي لا يحتاج إلى فكر شديد ومعجب بالغ

ومن آثاره أننا رغم إدراكنا الآن كثرة الأوقات وكفاية الأرزاق وكفاية تشبعنا حاجات الإنسانية جميعها لو وزعت نوزماً معقولاً بدون احتكار وتحكم وإتلاف لجانب من الحصول في سبيل الاحتفاظ بالأسمار المرتفعة ... لا تزال نطبع الجشع والطمع ونعصى دواعي العدالة والرأفة بالطبقة المحتاجة المجهودة ؛ ومن آثاره أننا لا تزال نغطى مجزناً وكسلنا بالاستسلام لما نسميه « الأقدار » ، مع أن مفتاح الأقدار بأيدينا ، ومع أننا نرى أننا نصنع أغلب أقدارنا ، ومع أن دائرة الإيمان بالأقدار في الدين لا تصدى منطقة الصبر على اللصائب والكوارث التي

النظام والجفاف ملق القلب مهدد العيش يتجدد تلقه كل سنة لأنه لم يمك من أسباب الحياة إلا بجبل بيد هيات أن يكون في يده دأعماً ...

وأنى تكون حياة هذا البدوى من حياة بدوى آخر صمى حتى اهتدى إلى ضفاف نهر تمك مناخه بحوالي الصحاب ، وتحب للماء إليه جارياً ميسوراً ليده وأفواه دوابه وتطمانه ، ثم هو يمد ذلك يشق للسواقي والقنوات ليمس منها الماء إلى كل بقرة بنرها! لا شك أن كليهما أخذ من مصدر واحد ، ولكن أحدهما حل نفسه على المسمى ، والآخر حملها على المسمى ... وشتان ما بينهما !

فليعض الراقدون على آذاتهم في الشرق الإسلامى مستملين في صغار لعوامل الشقاء والحمران ، حاسبين أن أحوالهم ضربة لازبة حتى بأنهم آت من غير أنفسهم ينفخ في الصور ، فإذا الأرض حولهم جيوش وجعافل ، وممانع ومعامل ، ومماهد ومماهد ، وحقول وجنات وعيون ، وإذا هم — بقدرة قادر — آلهة في الأرض يمحكون !

ليهنضوا وليحرروا أنفسهم من قيود التاريخ النفسى الذى انحدر إليهم من الجاهليات فهم يمشون به في الماضى وإن كانت أجسادهم تلبس أثواب القرن العشرين ...

وتتكرر قوارع هذه الحرب أجراءساً وأبواقاً تجممهم وتدفهم إلى النعير مع قافلة سرية المراكب، متلاطمة المراكب، غليظة الأقال ، حاشدة جبال الحديد والنفولاذ ، والقوى المارمة الجنونة التى يقول قائلها : «أما القدر ! أما القدر ! يا بنى البشر !»

\*\*\*

هل لنا أن نزم أن الحق وصل إلى نفوس أكثر الناس فأدركوا صدقه وجماله ثم مع ذلك رفضوه ، وحينئذ يحق لنا أن نشأم في مستقبل الإنسان ؟

أؤكد أنه لم يصل في عصر ما من عصور التاريخ إلا إلى القليل من الناس . وإلى الآن لم تتم دعوة إلى الحق الواضح في الطبيعة بدون أن توسع في طريقتها أغشية وعقبات ومعوقات تحجبه وتمنع الناس من إدراكه والآن ، وقد تيسرت أدوات الدعوة وأدوات الإقناع

وأدوات التربية يجب بده دعوة ...

وإن في الناس طغيراً كثيراً جداً أعظم مما يتضح من النسبة التى نجدها فيهم الآن ...

والدليل على ذلك نجاح أمم الشمال في أوربا خلقياً ، فقد أرت فيهم التربية حتى أوشتك بلادهم أن تخلو من السجون والجرائم والحياة حيث الثقة بالنفس الإنسانية وطيدة هناك إن أدوات صحة النظر في الحياة وأبجهاياتها موفورة الآن لأغلب سكان الأرض ؛ ولكنهم مأخوذون عن ذلك بجزائر التاريخ . وكان من الواجب بعد العلم للتزير أن يوجد الفكر المادى والقلب الكبير الذى نضج وطاب ؛ ولكن عباب التاريخ وسبوه لا تزال تجرف الطفولة والبذور مع الجيف والقتل والقتناء ... وتلقى الجميع إلى المصب الذى تلتقى فيه الأخطاط والضلالات التى تركها أبناء الجهالة الأولون ...

فلامر من فصل البذور والطفولة وعزلها عن مجرى سيل التاريخ وإنشائها بأيد غير ملوثة إنشاء رضى به هذا الزمان وعلومه وقنونه ، ويؤهل الإنسانية لتلك الخلافة الواسعة المتواوة في جهاد الطبيعة واستئزال بركاتها ونحراتها .

ولامر من تصحيح للفكرة عن الحياة وتوجيهها إلى الإيمان بها كرحلة ممتعة أتاحها التقدر لمن يخرج من العدم ، فيجب صرفها في العمل والفرجة والاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من آفاقها

ولا مفر من تحويل عقيرة الفكر إلى عقيرة القلب والخلق والجسم . فالعلم والتقن يجب صقل للنفس بهما وإشراق الجسم لإيها وإخراجها على مقتضاها بحيث لا تتخلف حياة الجسم وقواه وحركاته عن الذى الذى وصل إليه الفكر ... وبحيث لا يتخلف ما في الشارح والحقل عما في مدارس الفنون والعلوم والتجارة والزراعة وما إليها حتى تكون حياة الجماعة صورة ومظهراً صادقاً لحياة الجامعات والأندية الثقافية ، ولا يكون في الأمة مفارقات ومناقضات بين حياة الفكر وحياة الواقع .

ولا مفر من حل كل إنسان على أن يدرك نفسه ويمشوق في التفكير في حياته وحياة الإنسانية ويتيقظ لتلك القوة والقدرة التى تسلطها الإنسانية على القوى السماء الجبارة وتمخرها في خستها

ذات المعجزات والنبوءات الفاعمة التي لا تتحمل جدلاً أو مخرفة !  
وكان من نتائج ذلك أن وجد الصلحون في كل عصر ركاباً  
من النبوءات والجهالات توضع في طريق دعوتهم إلى الإصلاح  
والعلم وفتوح الذكاء ونور البصيرة ...

ليس قبيحاً جداً بالطفل أن يترك مع إخوته على شيء يريد  
لنفسه ويريدونه لأنفسهم ، فيتصاحبوا ويتضاربوا ويحطموا  
ما أمامهم ؛ لأن الطفل يمشي بالثرائر ، فهو أناني ضيق التفكير  
لا يدري أن أباه يملك الكثير ، ولا يفهم فضيلة الإيثار إلا بعد  
التمييز والتدريب

ولكن ما بال الأم التي رأت خيرات الله تملأ فجأح الأرض  
تتقاتل على البحر الزاخر والحقول المرعة والجو الواسع ؟ إن ذلك  
من أخلاق الطفولة وضيق آفاقها ونحيم الثرائر في حياتها ، وهذه  
صفات وجدت لها في غلقات التاريخ مبررات وحججاً وتأريخاً !  
ومن العجائب أنهم يدمرون ما يسمون إليه من التقى

والثروة حين تنور غرائزهم ! وإن الحقد والشر والطمع لتستفقد  
وتهلك من مال الأم الأثرة الجشمة ، ومن بنها الدم الغياض  
ما لا يمكن للتغير والسلام والإحسان والتماطف والتسامح أن  
يسهلكه أو يستهلكه عشر معشاره ! !

ونظرة واحدة إلى النفقات اليومية للأُم للتجارة الآن  
تكني في البرهنة على هذا وعلى أن الإنسانية ما دامت مصروفة  
عن طاعة الحق والمدانة والحسنى ، إلى تحكيم الثرائر الدنيا  
والأنحدار في مجرى التاريخ ، فسوف تظل هكذا تدمر لتدمر ، وتعلم  
لتجمل ، وتقدم لتأخر

وكان المقصود بحياة الإنسان إذا استمر على هذا هو تحقيق  
مشتميات الثرائر وإظهار عبقريات النفس البشرية في التخريب  
بمدا التكوين : فهي طوراً تبنى وتعيش في صفات البناء وأخلاقه ،  
وطوراً تهدم وتعيش في أخلاق الهدم وصفاته ، لتترك معالم للضدين  
التقابلين الأبديين : الخير والشر ...

ولكن إن صح هذا كتليل لحياة الشر في الماضي حين  
كانت الحياة محتاجة إلى دوافع الثرائر لتدريب الإنسان في طفولته  
على ما تهيئه له الأقدار في مستقبله ولجأه على الاتحام والكشف  
وتفتيق الخيلة ، وحين كانت نتائج ثورات غزائره محدودة ضيقة

وما الإنسان بدون بقعة للمنى الغائق والروح السامى الذى  
في حياته إلا جسد يخلج ويشطرب في ذهول وبلادة ، ويمحيا  
هكذا حياة منطاطيسية آلية

\*\*\*

ولكى نذكر جرائر التاريخ على العقول وأثره في تدليس  
الحاضر وإفصاده وتزوير النفوس سأعيد عليك حديث صورة  
لا تجهلها عن طرق دراسته على السنة المعجزة وفي المدارس  
ومجالس القصص :

يفتح عقل الثنائى ' منافقته عجائز بيته وشيوخ قومه ومعلمو  
مدرسته تاريخ قوميته وتاريخ الإنسانية بأغلاطه وتقايسه  
ومحاولات المصور القاصرة في فهم الحياة وجهاد الإنسانية في شق  
طريقها الأول بين الصخور واللتاهات والعتبات . فإيكاد عقل  
الثنائى ' يصل إلى دور الحكم واللوازة حتى يكون قد تطبع بما  
وعى وأصابه ثقل التخمرة وحيرة الامتلاء والتجبليل

ذلك لأن التاريخ لا يدرسن على أنه محاولات أولية من  
الإنسان فيها أخطاء كثيرة ؛ فيجب الحكم عليها حكم دور الرشد  
على دور القصور ؛ ولكنه يدرس وعليه طابع التقديس والإعجاب  
بالأتمين والاهتزاز بهم في مفالاة وتصعب ، وبخاصة تاريخ  
القوميات والجنسيات

وكان من كبرى نتائج ذلك أن عاش كثير من الماضى السامى '  
في الحاضر . بل وجدنا جماعات تفر من الحاضر لتعيش في الماضى  
وترى أنه كان الحياة .. او تمدح الناس بما قمت الحدود وقالوا إنما  
على آثارهم مقلدون

فلم يفتح أبناء المصور المختلفة عيونهم على حياتهم في زمانهم  
بل ضحوا على الماضى وعاشوا به في الحاضر ، وظهر أثر ذلك  
في الافتتان بهواش الحياة والمكوف على دراسة سطوحها وترك  
دراسة أصول الحياة وعلومها الطبيعية والتجريبية التي تبقى لها  
نتائج دأمة تسل إلى نتائج أخرى في سلم الترق والتطور

وقد لاقى أكثر الناس الحياة بطباع مدلسة ليست بنت  
زمانها ، وإنما هي بنت للماضى للمعيق ، وحلوا معهم في رحلة  
المصور خرافات ووثنيات ومخافات احتفظوا بها حتى في القرن  
المشرين ، ووضعوا حواجز وهوائق في طريق الحياة الحديثة

## المغزل . والريف . ونفسى

[ إلى الشاعر التائه صاحب « أرواح  
شاردة » المديق على محمود طه ]

للأستاذ راشد رستم

شردتُ من الحضرة إلى الريف - وليس للمعجب أن يشرود المرء  
من الحضرة إلى الريف - وإلا فأين معنى الشرود ، وأين موطن  
الشرود ، بل أين الروح للشرود ...  
أما أنت يا صاحبي ، فقد شردت من الريف إلى الحضرة ذلك  
إذا عدنا مصر ، بنيلها العظيم ، وزرعها للفضير ، وإنسانها الكريم ،  
ريفاً وأى ريف ، ثم حسبنا بلاد الغرب بيماءها المدنية ، ومدنها  
الفنية ، ورهطها للتنشيط ، حضراً وأى حضر ...  
فهل أنا موفق هنا مملك ، أم أرى شرود كذلك في هذا  
الخيال وهذا للتشبيه ؟ على أنه إذا كانت الأولى فاني متمصر ،  
وإن كانت الثانية فلمت أنت المتمصر ...

\*\*\*

ولكن خبرني ، ما بالي أثير عليك غبار هذا الجدل وأنا  
في سكون البكور من صباح منير ، وسط ريف هادى بديع  
لماذا هذا الجدل وأنا في جوق نظيف ، حيث البساطة والسهولة  
والوضوح في هذا الصباح البدرى الذى لا نصيح فيه الهدى  
إلا لى تدعو للتياح إلى التقيام ، والذى تحمل فيه للطيور للتطايرة

لا تتمدى أضرارها إلى هدم أصول الحياة وتحطيم أسس الاجتماع  
وغلقات الإنسانية ذات الحرمات ولقيم التي لها اعتبارها ، كما هي  
الحال الآن في نتائج هذه الحرب ... قلن يصح الآن هذا التعميل  
بعد أن سارت تال الإنسان كقتال الآلهة لا تخصم الأطفال  
وقتل الآلهة - لو كان هناك آلهة إلا الله - تخريب  
لأصول الحياة وسحق لبراعمها ومناطق نموها . وهم يملون  
بالطبع طرق للتسلل إليها والإطباق عليها لأنهم فرضاً خالقوها  
وواضعو أسرارها ...

فلنوحد الإنسانية بعد أن صار لها قوة الآلهة في التخریب ،  
كما وحدنا الأرباب  
ولنعل بأرواحها وأفكارها عن مستوى بنات الطين والتراب ،  
من كل ذات ظفر وناب  
عبد المنعم محمد طهوف

نحيات النهار - وهذا أول للنور وآخر للظلام  
هذا صباح الريف ، سكون ولكن حياة . وهامى للطبيعة ،  
ناعسة تمنطلى ولا تقوم . وأنا صاح قائم أذكر قول الشريف الرضى ،  
رضى النفس ، شارد الروح ، وهو يقول :  
وأكرم الصبح عنها وهى غافلة حتى تكلم عصفور على علم

\*\*\*

وهأنذا أتحدث عن هذا الصباح للريف ، فقد كان صباحاً  
ساكناً ، ثم نار ، ثم سكون . أثبت الحقيقة كما جادت فيه - والحقيقة  
أصل لكل خيال - فقد جلست الساعة بمد هذا الشروق للبهى ،  
و « منزلى » في يدي ، وأنا في هذا المكان من الصعيد الصعيد  
البعيد ...  
وهذه هى الأرض تنمرها مياه النهر الكريم ، تحفها سلسلة  
هذه الجبال الراسيات ، يضم للقوم بينهما هذا الوادى الأخضر  
السهل اللصيح الممتد

\*\*\*

وإذ أنا في هذه الحال ، هادى النفس هادى الليل ،  
إذا بالهدة للناعسة ، وهى تطرح منها أطراف الليل ، تستيقظ  
على صوت زمارة وطبل - جماعة يجعون إلى دير بالجبل بعيد -  
حتى إذا عادوا من نذرهم وقد سرُوا علينا بالطريق ، صبغونا  
بمدرين مبهكين ، ودخلوا القرية واثنين ؛ حيوناً بأصوات  
البشير ، وتلقيناهم بأحسن تكريم ، وتبادلنا وإيام في ساعة هذا  
النهار المنش السبوح ، صفاء قلوب في صفاء قلوب

\*\*\*

ثم أداروا علينا من أنغامهم موسيقى ذات دوى بيد وحنو  
قريب ، فأخذت القوم نشوة لليقظة بمد فترة الرقاد الطويل ،  
وتولتهم هزة للفرح ، قراحوا وزامر الحى يزمرهون وطبلون ،  
كما أنشأوا ( يتعاطبون ) ، يعملون عسيهم في الفضاء ، تدور  
هم بها دائرون ، يبتعدون ثم يلتفون ، وفي خفة يقفزون ،  
ليس فيهم طالب ولا مطلوب ، ولا غالب ولا مغلوب ، إذ هم  
في لحو يرحون ، وأهل القرية من حولهم محبوبون مبهجون

\*\*\*

حتى إذا تحول الطرب ودارت لرقص أنغامه ، دارت  
في الساحة من الرجال أرباب ، بتفكمون وإن كانوا به يتباهون ؟  
غير أن للخلخال رفته ، وللخلال الحبيب ساطعة ، وقد دق

والخيل تمزج مناء في أعتها  
كالطير ينجو من الشؤبوب ذي البرد  
ولالخيل صيحات وللفرسان صيحات  
وهكذا بين جمال وجلال وكر وفر، وصهيل وهليل، نسود  
للبطولة أجواءنا، وعملك للنمومة أرواحنا ...

\*\*\*

حتى إذا بلغت نشوة الفرح حدا، وضيافة الصبح سمها،  
وأذن مؤذن الركب بالرحيل، وأخذ تقوم يسودون في هدوء  
آسفين، ونحن من ورأهم كذلك آسفون؛ وخلا المكان،  
وانفض الحسان، وإذا بي قد شردت من حالي دون أن أبح  
مكاني، وإذا بي يشتد شاني دون أن أترك شاني، وإذا بي أرى  
منزلي بجماري فألجأ إليه لأجد عنده خلاصي

\*\*\*

وإني وقد أخذت مقامي من هذا الزيف والتنظيف، أبدأ كل يوم  
فيه بما قد هويته صغيراً، ولا أزال أهواه كبيراً: « غزل »  
لصوف بهذا المنزل للتقديم المروف؛ إذ أجد للفكر إذا ما شرد،  
وللنفس إذا تارت، راحة وسكوناً مع دورات هذا المنزل الأنيق  
الرشيق اللينيق

وإنك تراه يتدلى في الفضاء دائراً دائراً، معلقاً في خيط  
رفيع دائماً؛ ينساب من بين أنامل ماهرة، قد تكون كذلك  
ناعمة، تجمله خيطاً رقيقاً ناعماً، تتجلى فيه دقة الصنعة إذا  
ما جعلته رقيقاً رقيقاً، متيناً متيناً

تراه محملاً مثقلاً، معلقاً في ذلك الخيط اللين الرفيع، كما  
يتعلق المأمون للشاردون بالأمل في خيط منه وحيد رفيع  
يدور المنزل في للفضاء مثقلاً مثقلاً، كأنه النفس المثقلة بأنواع  
المحوم، تنزلها يد الأقدار، تلقها عليها في سكون ودوام، ثم  
تدور بها في طيات هذه الحياة

هذا المنزل الذي بين يدي، هو كونه النفس التي بين جنبي،  
حملتها كبيرة صغيراً، ولا أزال أحملها كبيرة كبيراً  
هذا المنزل بينما تراه خلياً حيناً، مثقلاً أحياناً، يدور في فضاء  
الله، كما تدور فيه هذه النفس فأراً، هادئاً صابراً  
هذا المنزل مهما كان عتيقاً عريقاً، فإنه متجدد دائماً،  
تنظيف دائماً، وشيق دائماً ...

راشد رشيم

(منزعة كوم للنسوة)

الطبل لبنات الحى دقاته، فتزنى للساحة يحظرون ولقلب وقتها  
دقاته، وأثارت بنات الحى في الحى للرقص موجهه، فارتقت  
في ميزان (الحرارة) شاراته، وازدحم للبدان واشتدت حماساته؛  
فقد دارت بنات الحى في للبدان للرقص دوراته، وحس الوطيس  
واشرأبت من الجمع هامة؛ هؤلاء هن للدلال والوقف والمظف  
سيئاته، وهؤلاء هن لف والليل والهوران رباته:

صان الإله رشيقاً مياسةً أربت على النزلان في الجولان

\*\*\*

ثم خلت للساحة من حسان راقصاته، إلا التي هي من  
بنات الحى آيين باته. هيفاء هيفاء، تحظر فوق للثرى وكأنها  
تصعد في الجو إلى رباته، خفة ورشافة وسناء؛ بينما تراها هنا  
إذ تراها هناك. وهي إن حنت على للشيب أقبلت عليه ترعاه،  
فتجمله من فرط الرضا شياياً... فإذا تجمعت على للشباب تحولت  
إليه تسببه هياماً فتجمله هباء أو سراياً ...

وكأنى بها حمة الصبح وهذا هو الصبح قد لاح، فهل  
تبمد يا أليف الهوى وهذا هو الإلف قد بان وسبحان للفتاح؟  
تعال. تعال. خذ الخصر بيمنك، ودر بالساق مع الساق،  
ولا تقل أين الساق. إن للحياة مداها، وللروح في حب الرضا  
قرباها، ومناها، ومجواها ...

\*\*\*

وانظر الآن! هذه هي الخيل تجرى في أعتها وفق هواها،  
تدب ديبب للصد والخيلاء والغير مقفود على نواصيها. وهؤلاء  
فرسانها لا يستطيعون لها كبحاً، فتزغ تندخل بهم للساحة  
مسرعة، كأنها تاني إلا أن تأخذ نصيبها في موكب هذا الصبح،  
ولكنها ترند سريرة جامحة، كأنها من غيران أمامها خائفة، وما هي  
إلا ذات الخللخال، لا تزال في الساحة قائمة، لم تترك مكانها،  
فكيف إذن للحياة أن تستريح البدان؟

لما أن رأتهم مندفعين، وقتت وقتها تكشف فيها لهم عن  
الغنى والسهام، فأدركوا ما قد يصيبهم من كبوات وغرام،  
وخافوا على أنفسهم وخيلهم من الأذى والضرام، وهكذا ارتدوا  
خائفين وهم هم السادة للشجان، من الحياة والخيل والفرسان.  
حتى إذا هذا الروح، واستقر للفؤاد، طادوا بمدند إلى  
الساحة مطمئنين، بل كراماً لأزليين، يدورون ويدورون، يلعبون  
« ويغترسون »

صدايقه العربى المطبعة السنة التوجيهية

## ديوان البارودي

للدكتور زكى مبارك

—

تمهيد — تقد مقدمة هيكل باشا — نصيب البارودي من علوم  
اللغة العربية — الخريات والقراميات — الجديدي شعر البارودي  
— التحكم فى التاريخ — الطبيعة بين الصمت والنطق —  
للمتنبون فى عهد توفيق — تاريخ الشعر العربى —  
المصريون فى عهد البارودي — ما صنع البارودي فى منفاه

تمهيد

المقرر للمصاحفة هو الجزء الأول ، طبع دار الكتب المصرية  
ومرح الأستاذين : على الجارم بك ، ومحمد شفيق معروف ؛  
وهو بطلب من مخازن وزارة المعارف ومن شهيرات المكاتب  
وللشارحين كلمة يشكران فيها للفقراشى باشا « لاهتمامه  
بإنجاز طبع الديوان » ، وهيكل باشا « لشكره بكتابة التقديم »  
وجعفر والى باشا « لكبير موته » ، والصيد أشرف البارودي  
« لإمدادهما بأصول الديوان الخطية »

وكنت أحب أن يشير للشارحان إلى أن عناية وزارة المعارف  
بطبع دواوين الشعراء الذين رفقوا اسم مصر فى العصر الحديث  
ترجع إلى العرابى باشا ، فهو صاحب هذه للفكرة ، وفى عهده  
ظهر ديوان حافظ ابراهيم سنة ١٩٣٧

وكنت أحب أيضاً أن يشير إلى الظرف الذى كُتب فيه  
التقديم ، وقد تركه الدكتور هيكل باشا بدون تاريخ ، لسبب  
توضحه الأسطر الآتية :

كانت وزارة المعارف إلى الدكتور هيكل فى وزارة محمد  
محمود باشا الأخيرة ، وفى تلك الأيام بدىء بطبع ديوان  
البارودي ، وكأله مفهوماً أن هيكل باشا سيكتب مقدمة الديوان ؛  
تم استقالات وزارة محمد محمود باشا ونلتها وزارة على ماهر باشا ،  
وفى الوزارة الثانية كان للفقراشى باشا وزير المعارف ، فكتب  
إلى هيكل باشا بدعوه إلى كتابة مقدمة الديوان ، مع أن ظواهر

الأحوال كانت تقول بأن بين الرجلين شيئاً من الجفاء  
ولو أشار للشارحان إلى هذه اللوحة الأدبية لكانت شاهداً  
جديداً على ما عند رجالنا من كرامهم الآداب  
وسكت للشارحان عن للشارح الأول ، كما سكت عنه هيكل  
باشا ، وفى الطبقات العلمية لا يجوز هذا الإهمال

ويمتطيع طلبة السنة للتوجيهية أن يسألوا أسانذتهم عن  
ذلك للشارح ، إن كان يهمهم الاستقصاء

تقد مقدمة هيكل باشا

تقع هذه المقدمة فى أكثر من ثلاثين صفحة بالتقطع  
المتوسط ، وقد كتبت فى ساعات غلب فيها الصفاء ، فقد كان  
الدكتور هيكل فى عزلة تشبه عزلة للمناك بعد خروجه من  
المعارف ، وكان يمانى للكلف بالخلوة إلى القلم بعد أن سُفيل  
عن الأوس به جيداً من الشهور الطوال

هى مقدمة جيدة جداً ، وربما جاز للقول بأنها أجود ما صدر  
عن الدكتور هيكل من الدراسات الأدبية ، فقد نفذ إلى أعماق  
المبكرة البارودية ، واستطاع فى بعض النواحي أن يذيع سرها  
المكنون

وسيجىء فى الامتحان للتحبرى سؤال أو أسئلة من هذه  
المقدمة ، فمن الواجب أن نتناولها بالنقد الرفيق ، لتساعد طلبة  
السنة للتوجيهية على إدراك ما فيها من مقاصد وأغراض ، فالنقد  
هو الذى يوجههم إلى فهم مدلولها الصحيح ، وهو الذى يهديهم  
إلى مكانة البارودي فى تاريخ الأدب الحديث

نصيب البارودي من علوم اللغة العربية

نص الدكتور هيكل باشا مرتين على أن البارودي كان يجهد  
للنحو والصرف والعروض ، وللنص على هذا مرتين فى المقدمة  
يشهد أن هيكل باشا لم يكن فى هذا الحكم من الرأتين  
فمن أخذ (حيثيات) هذا الحكم القاسى ؟

أخذ من الشيخ حسين المرصنى ، فقد نص فى (الوسيلة  
الأدبية) على أن البارودي كان يجهد للنحو والصرف والعروض ؛  
وكان يجب على الدكتور هيكل أن يذكر أن الشيخ المرصنى لم يقل

فما معنى ذلك ؟ معناه أنه توهمها أولاً مفعول ( حسب )  
ثم أدرك أنها خبر ( أن ) والتي يجمل النحو لا يدرك هذا الفرق  
٤ - وفي الصفحة نفسها نجد البارودي يقول :

« اللهم يا هادي الضلال في الليل المدمم ، وناصر للمهوفين  
في غمرة اليوم الماسم »

وننظر فنجد البارودي عسا كلمة ( المهوفين ) وأثبت كلمة  
( الملاك ) حرصاً على الازدواج ، فنفهم أنه كان يعرف علم البديع  
٥ - ومن هنا ما جاء في ص ٥٠ حيث يقول :

« ما وعد إلا وأخلف ، ولا سالم إلا وأتلف »

فقد عا ( سالم ) وأثبت فوقها ( أوعد ) حرصاً على الجناس  
والطباق ١

٦ - وفي مقدمة الديوان يحددنا البارودي عن ( ذكر الشيء  
باسم غيره لجارته إياه ) فنفهم أنه كان يعرف أشياء من علم البيان

٧ - ونص " البارودي على قصائد فيها ( لزوم ما لا يلزم ) ،  
فكيف يقع هذا من رجل يحكم عليه هيكل باشا يجمل التوافق ؟  
يضاف إلى هذا أحكامه على الشعراء وهي تدل على بصيرة  
بالنقد الأدبي ، وكذلك تدل استفادته من المعاجم على فهمه لأسول  
علم الصرف

وصفة القول أن البارودي كان على بينة من علوم اللغة  
العربية ، وإن لم يصل إلى التفوق في تلك العلوم ؛ فقد كان يستمد  
على فيض الفطرة والطبع ، وهما أفضل أدوات الشعراء

#### الخرجات والقراميات

وطاب للدكتور هيكل باشا أن يؤكد أن البارودي لم يكن  
ساذقاً في الخريات والقراميات ، وقد جزم بأن قصائده في هذين  
الفنين لم تكن إلا محاكاة لأساليب القدماء

وهذا الحكم صواب من جانب وخطأ من جانب ، فهو صحيح  
في الخريات لأن أشعار البارودي في الخمر لا تخلو من ضعف ،  
ولكن هذا الضعف لا يرجع إلى أن الخمر لم تذهب بمقل  
البارودي ، كما يقول الدكتور هيكل ، وإنما يرجع إلى أن وصف  
الخمر فن لا يحسنه جميع الشعراء وإن كانوا في جها من الصادقين  
أما قراميات البارودي فهي صدق في صدق ، وأشعاره  
في المشق آية في الإفصاح عن سبوات القلوب ، وقد تذكر  
بقراميات الشريف في بعض الأحيان

هذا القول إلا في مقام التثناء على ما كان البارودي يملك من بوارق  
الفطرة والطبع ، وإلا لئن العسير أن نصدق أن البارودي كان  
يجمل ما لا يجوز جهله من أصول النحو والصرف والمروض  
ولكن أين الشواهد على علم البارودي بعلوم اللغة العربية ؟  
في الديوان رسالة مثبتة بالتركيبات ، وهي رسالة لم يلتفت  
إليها الدكتور هيكل ، ومنها أتخذ الشواهد على ضعف الحكم  
التي نقله عن صاحب « الوسيلة الأدبية »

وإلى معاليه أسوق الحديث :

١ - في ص ٤٣ جاء بخط البارودي في وصف ما حان هو  
ورقاؤه من هياج البحر :

« ومكثنا على ذلك ثلاثاً ، لا نجد فيها غياتاً »

وعند تأمل الخط نجد أن الأصل ( ثلاث ) و ( غيات ) ،  
وأن البارودي التفت إلى الخطأ النحوي فحذف ألفين فوق هاتين  
الكلمتين ، وهذا يشهد بضعفه في النحو ، ولكنه لا يشهد  
عليه بجمل النحو ، بدليل هذا التصحيح

٢ - وفي ص ٤٦ نجد بخط البارودي :

« هيات ، ما كل شامة خالاً ، ولا كل حلقة خلخالاً »  
وعند تأمل الخط نرى أن الأصل ( خال ) و ( خلخال ) ،  
وزي البارودي وضع ألفين فوق هاتين الكلمتين

والتصحيح في هذه المرة أدق ، فهو في الشاهد السالف  
كان التفتاً إلى حكم الظرف وحكم المفعول في الإعراب ، وهو  
في هذا الشاهد التفت إلى حكم ( ما ) الحجازية ؛ وكان يسه  
أن يفتي هاتين الكلمتين من التصحيح ليسير مع النحوي  
التي يقول :

وَمَهْهَفِ الْأَعْطَافِ قَلْتُ لَهُ : أَنْتَبْ

فأجاب : ما تَسَلُّ المَجْب حَرَامُ  
والتي يَفْرِق بين ( ما ) الحجازية و ( ما ) التيمية لا يوسم  
بجمل قواعد اللغة العربية

٣ - وفي ص ٤٩ نجد بخط البارودي :

« بل حسبت أن قطرات المُنْزَن ، دموع أسالتها زفرات  
الْحُزْن » ١

وننظر إلى العين من دموع فزراها كانت ( عا ) ثم أصارها  
البارودي ( ع )

في ذيل الصفحة الثالثة والشربن لرجع من ذلك الاغصان ،  
وهذه إشارة فيها كل البيان  
الطبيعية بين الصمت والنطير

وشاء الدكتور هيكل باشا أن يحكم بأن « البارودي إذ كان  
يسجل للصور في شعره لم يكن يجعلها في صمتها وسكبتها على  
ما يولع به عشاق الطبيعة الصامتة »  
فما معنى هذا الكلام ؟ ومتى صممت الطبيعة في أوصاف  
الشعراء ؟

لله يريد أن يقول إن البارودي كان قوى الشعور بحيوية  
الناظر للطبيعية ، وبما فيها من قاعلية وانفعال ، فقتصر به التعبير  
عن بلوغ ما يريد

#### المستشورون في عهد تربي

هم في نظر الدكتور هيكل رجال الجيش ، وقصر الاستنارة  
على رجال الجيش في ذلك العهد غير صحيح ، فقد كان في مصر  
جماعات علمية وأدبية تفوق في الاستنارة رجال الجيش ، والصبوب  
وضع كلمة « المياسيين » في مكان « اللحنين » فقد كان رجال  
الجيش ساسة البلاد في ذلك الحين

#### تاريخ الشعر العربي

ويقول الدكتور هيكل إن الشعر العربي قضى ألف سنة في  
انحلال إلى أن بنه البارودي ، فمن أين جاء بهذا القول ؟

أتحكم على ماضينا الأدبي هذا الحكم الظالم في سبيل إنصاف  
البارودي ؟ ليرجع الدكتور هيكل إلى « مختارات البارودي »

إن شاء ، فإن فعل قسيمرف أن البارودي يرى غير ما يراه ،  
فقد وصل اختياره إلى القرن السابع ، وصح له أن يحكم بأفكار

سبط ابن التماويني وهو من شعراء القرن السادس كان يتابع  
الشريف الرضي ويمشي على أثر مهباز الهديلي . والبارودي الذي

اعترف بحياة الجزالة الشعرية في القرن السابع كان من شعراء  
القرن الثالث عشر ، وعلى هذا تكون المدة التي انحل فيها الشعر

نحو خمسة قرون ، فكيف يجعلها الدكتور هيكل عشرة قرون  
ويوصي بإسقاطها من الحساب ؟

يشفع للدكتور هيكل أنه أراد المبالغة في التنويه بمقام  
البارودي ، ولكن الإحسان إلى البارودي كان يتم بدون الإسادة

وما للوجوب لأن تقول لبارودي « كذبت » حين يتحدث  
في أشعاره من هراء ، مع أنه يقول في مقدمة الديوان :  
« إتمامي أعراض حركتي ، وإياه جمع بي ، وغرام سال  
على قلبي »

أما أن كان الدكتور هيكل يريد تنزيه البارودي عن مآثم  
الفتيان ، فكلامه وجه مقبول ، فقد كان البارودي رئيس  
الوزراء في بعض العهود ، ويجب على الوزراء أن يمشوا بلا قلوب  
الجبر في شعر البارودي

ويقول الدكتور هيكل باشا إن الجديد الذي استدعى الإعجاب  
بشعر البارودي « هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو في بساطة  
وسلاسة وقوة دون اعتماد على سمات اللفظ البديعية »<sup>(١)</sup>

وتقول إن هذا التصوير بعيد من أذهان من عاصروا البارودي  
وكانوا مولعين بالزخرف والبريق ، وإذن يجب على الدكتور هيكل  
أن يتلس رأياً غير هذا الرأي ، وهو قد اهتدى إلى الصواب بعد  
ست عشرة صفحة فقال :

« إن هذا الشعر كان جديداً كله ، كانت عما كانه الأقدمين  
جديدة ، وكانت ممارسته إياهم جديدة ، وكانت رياضته القول  
على مثالم جديدة »<sup>(٢)</sup>

فاذا أهد طبع الديوان فليتفضل الدكتور هيكل بحذف  
الحكم الأول والاكتفاء بالحكم الثاني

#### التحكيم في التاريخ

لبارودي قصيدة لامية قال فيها ما قال في التنديد بالمصريين ،  
ويتص الديوان على أنها قيلت في عهد « إسماعيل » ولكن  
الدكتور هيكل يتسلف فيحكم بأنها قيلت في عهد « توفيق »

فهل يملك الحق في نقل القصائد التاريخية من عهد إلى عهد ؟  
إن عصر إسماعيل كان مبعث نهضة بأجماع الآراء ، وعصور

النهضات لا تخلو من بواعث الحب والبغض ، والجد والملام ،  
فكيف نستبعد صدور قصيدة نائرة في عهد إسماعيل ؟ وكيف

عرف هيكل باشا أن البارودي لم يذق في عصر إسماعيل غير  
الفرار والاطمئنان ؟

لو أن الدكتور هيكل التفت إلى القصيدة التي أثبتتها بيده

(١) س ١٤

(٢) س ٣٠

ثم يقطع تفكيره وسكونه أصوات حوله فيتلقت ، فإذا يد  
يرى أعماقاً من زوايا البشر ، من عبيد الأرض ، يهرعون إلى  
البحر لكي يطفئوا نيرانهم ، ويطهروا نفوسهم من الآثام  
والخطايا . ويلج الشاعر في ناحية قصية نفوساً هائلة وقلوباً  
دائمة تصرخ من أعماقها في الظلام ... فيسارع إليها ويدرك  
شكاتها لأول نظرة ... فتثير في نفسه كل هذه الرؤى كوامن  
للشجن ، وتتهز مشاعره ، وتهمر دموعه الملحة للمحبات  
غزيرة غنظلة بماء البحر الملح . ويحس البحر الواسع الرحيب هذه  
الديوان ، ويلس تلك الخطايا والأشجان ، فيقبلها ولا يلفظها .  
ويطهر الآثام ، ويأسو الجراح

وترك للشاعر مكانه واعتلى ظهر سفينة مطوّفاً إزاء الشاطئ .  
فشاهد سور اليابسة وألوانها . فهذه رمال وكثبان صفراء ، تعلو  
من بينها باسقات النخيل ، وتنعسر عنها مياه البحر الزرقاء ؛  
وتلك جبال شاهقات تكلمها الخضر ، وأخرى صخور جرداء  
شاخات توازن بارتفاعها عمق البحر ؛ وأولئك هم الصيادون  
والنواصون يجمون اللالي والمرجان والأصداف والأعشاب  
من كنوز البحر ومجائبه ؛ وهاتيك الطيور البيضاء تهبط إلى  
سطح الماء تلتقط الأسماك كأنها تشكو عصف البحر ، فتعلو  
في جوف الطيور إلى اللضاء ؛ وهذه الجزر وتلك الصخور

وهو في منقاه ، وسكت عن مسألة مهمة جداً ، وهي براعة  
البارودي في بحث « اللدائح النبوية » بمد أن طال عليها الموت ،  
ولهذه المسألة تفاصيل يضيئ عنها هذا المجال

\*\*\*

أما بعد فهذه ملاحظات لم يكن منها بد ، لأن مقدمة  
الدكتور هيكل ستكون أساساً لمدرس ديوان البارودي ، ومن  
واجبنا أن ننبه المتسابقين إلى ما يوجه إليها من الاعتراض ،  
ليكونوا على بينة من مكاسر ذلك البحث المنقح  
وقد بقيت مآخذ لا تستوجب للمارعة إلى التنبيه ، ولعلها  
تدق عن أفهام طلبة السنة للتوجيهية ، أما محاسن المقدمة التي  
كتبها هيكل بإشاعة أظن من أن تحتاج إلى بيان  
لم يبق إلا النظر في المقرر للمساوقة من أشعار البارودي ،  
فإلى الأسبوع للقبيل  
زكي مبارك

## البحر ...

[ البحر لا ينلم وفي بقطة البحر تنزلة لروح لا تنام ]  
« جبران »

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

—————

ضاعت نفس الشاعر بالأرض الهابسة التي تزدحم بالمدن ،  
وتعج بالحرمة ، وتضيق بالتقاليد ، وترهق بالأوضاع والمظاهر ،  
فانطلق إلى الماء الفسيح ، إلى البحر اللطيق ، يلتمس هوناً  
وملاذاً . واقترب منه رويداً رويداً وهو يشخص بصره إلى  
زرقته من بعيد ، وصوت أمواجه المتلاطمة يملوها الزيد يضرب  
في أذنيه ، ورأحة البحر الملحة تملأ صدره ، ورياحه تتخلل  
غصون الشجر ، فتتهز وتتايل ، وتخرج منها أصوات تجاوب  
أصداء البحر . وأخذ الشاعر يطيل السير وحيداً على شاطئه  
دون أن تسمع صوت أنفاده ، وهو ينظر مطرقاً إلى هذه  
الأمواج تصطفق ثم تنساب على الشاطئ . ويتأمل ويفكر ويحلم  
وينعم اللطف فيها هو قريب وفيها هو بعيد ، إلى أن يضيع نظره  
فياء وراء الأفق ، في رهبة وسكون

إلى تاريخ الشعر العربي . فليتفضل بمراعاة هذا الجانب من مقدمته في  
الطبعة التالية ، لإشارة للمدل ، فما كان في أحكامه الأدبية من الظالمين

المصريين في عهد البارودي

حكم الدكتور هيكل بأنهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية ،  
وإنما كانوا يتحدثون بلغة أخرى هي العامية  
وهذا الكلام يحتاج إلى تحديد ، فإن كان يريد الخواص  
فهو مسرف ، فقد كان هؤلاء في بقطة عقلية وروحية ، بدليل  
ما تركوا من نقائس للزلفات ، وإن كان يريد العوام فهم إلى اليوم  
يتكلمون العامية ، ولم يستطع جهلهم أن يصد الخواص عن  
التحليق في أجواء الأدب الرفيع

البارودي في منقاه

أكتفى الدكتور هيكل بالنص على حنين البارودي إلى الوطن  
١٧٠٣٥

المتناثرة تحيطها مياه البحر ، وتتكسر حولها أواذيه ، ويقصده ،  
على جنباتها رشاش الماء الأبيض ؛ وهنا وهناك ينشق نور الفغار  
للتألق ، يشق حجب الظلام الحالك ، ويرسل شمع الأمل وسط  
الضباب الكثيف

ويبتعد السفين صوب البحر قليلاً قليلاً حتى يخفى للشاطئ  
عن البصر ، ويتهادى أياً ما وليالي طوالاً والأفق كله ماء وبحر ،  
تلونه أطيان الشمس وأعماق البحر ؛ فهو نارة أزرق داكن ،  
وطوراً أغبر مصفر . ويعر السفين فوق جوف البحر . إن قاعه  
أرض وصخور ووديان وجبال وبراكين وقارات وعوالم ساكنة  
ومتحركة في أعماقه منذ الأزل . إنه عميق جداً . لا يصل الإنسان  
إلى قراره . ولا يعلم أحد كل ما طواه في صدره . ما الذي طواه  
بالأمس ، وما الذي سيطويه في الغد .

إنه يحمل الأطفال من البشر فوق سطحه للتسيح في رفق  
وحنو . إنه يجول بهم ويستقبل الشمس إذ تبرز في الصباح  
وترسل نورها فوق محيطه الواسع ، وتترب عند الأسيل وهي  
تودعه بأشعتها الأرجوانية . وفي الليل الصافي الساكن تلالاً  
للسماء بالنجوم للبراقة ، ويبدو القمر هلالاً وبدراً ساطعاً خلال  
للسحاب الخفيف ، فتعكس أشعته الفضية على صفحته اللامعة ،  
والتنسيم يلبس أمواجه المهتزة المتلاقية . إنه هادي وادع أليف .  
إنه بطرب . إنه يسم وينشد ويترجم .

ونجاة يكفهر الجو ، وتتلهد السماء بالسحب ، ويومض البرق  
نذير للعاصفة ، وتشتد الرياح ، ويقصف الرعد مدويًا ، ويدفع  
الإعصار أمواج البحر شاهقة تطاول السحاب ، ثم تعود فتتكسر  
وتهوى على صفحته الصاخبة . إنه غاضب . إنه ناثر عنيف . إنه  
جبار . إنه يدوي بصوته المناضب إلى عنان السماء . إنه رائع . إنه  
هائل جداً . إنه يطوح بالسفن فوق سطحه ، ويقذفها عالية فوق  
أمواجه ، ثم يهبط بها في لجته السحيقة . إنها الألعاب تحمل طرزاً  
من الكائنات ترندى أنواباً زرقاء وحمراء وصفراء . إنها دى يحعو  
للبحر ما بينها من فروق لليابس ، ويذيب عنها خيلاء الأرض .  
وكلها تتماوى وتصغر وتضائل أمام جبروته . ويفرق وانحما  
أمامها الحد بين الأمس الملموم وبين اللند المجهول ، فتأرجح كلها  
بين الحياة واللوت في لحظات رهيبية ... ونبتون يطلق سخكاته  
في الفضاء ساخرًا ! ... ثم تنجلي للعاصفة ، وتسكن الرياح ،  
ويعود للبحر هادئًا وادعًا أليفًا ، ويداعب هذه الخلائق التي

أرهمها غضبه وثوراته ... وحينئذ تثوب النفوس إلى رشدها ،  
وتسرف للقلوب ذنابة الأحقاد وسفارة الطامع ، وتنشع عن  
البصائر غشاوة الباطل وزور الهمتان

أيها البحر العميق ! يا أبا الأرض ويا أصل الوجود ويا معلم  
الإنسانية ... أيها الحاجز بين القارات ، أيها الواصل بين العوالم ،  
يا من أجرت سحبك أنهار الأرض ، وأقامت أمطارك معلم  
المدنية ... ويا من على سطحك جرت الفلك تحمل ثمار الحضارة ...  
ويا من شهدت أعطافك جولات للترصنة ، وسجلت أمواجك  
للسهام الأساطيل ... ويا من خشمت مياهك فأنسجت للطريق  
لبنى إسرائيل ثم أطبقت على آل فرعون من القوم الظالمين ...  
أيها البحر العظيم ! لقد عبدك الأقدمون ، ورسم أطيانك  
المصورون ، وردد صدى أنغامك للشراء والموسيقىون ...  
إنك هادي صاف رائق . إنك ناثر عاصف عميق . إنك جميل  
أزرق . إنك مانع جامع . يقرأ الشاعر على صفحتك ما لا يسطره  
القلم ، وما لا يقرأه الأميون من الناس . إنه ينصت إلى أساطيرك  
وقصصك . إنه يستلهم معانيك ووحيك ، ويهره جمالك وجلالك ،  
فلا يطبق النظر إليك ، وينمض للعينين دريك ، وتشيع في نفسه  
رأبحتك ، وتمر في خياله ذكرياتك وصورك حسن عثم

صدر البروم :

مكتاب

## الأمصار والعمران

وهو للباب الرابع من مقدمة العلامة عبد الرحمن بن خلدون

قرنه وزارة المعارف للمطالعة في السنة التوجيهية

لتسبقي الرياضة والعلوم

قدم له ، وضبطه ، وشرحه ، وجبلى نظرياته العملية

محمد سعيد العريان

يطلب من المكتبات الشهيرة في القاهرة والواقاليم

ومن النسخة خمسة قروش

## مواسم الأدب

للأستاذ كرم ملحم كرم

يوم لنا ويوم علينا . هذا حال الأدب ؟ فلا بد فيه من بقية من يقظة  
وهجة . والأدب وليد الحس ، والحس تتفق له حيناً وثبات يصاول  
بها الفلك ، ويدهمه حيناً سكون تلب عليه فيه نومة ... نجمة  
الموت أهنأها !

فكان للأدب مواسم يشع فيها ويكشف عن جبينه وقد دانت  
له مثلقات الرحي ، وتفجعت عليه سموى الإلهام . كأنه يتقلب بين  
سعود ونحوس ؛ فيضئ نجمة وقادة ليخبرو كصباح عطش إلى  
الزيت . فإن تصف به الناشئة حتى تذهب باليانع من أطايبه ،  
والنأى من أخصائه ؛ ويحييه فيث ندى فيبتللاً بسخاء ، ويذكر  
بسبح ، ويمرأ أبدأ فيطول عين الشمس وينفذ إليها ساطعاً منها  
على الدنيا ، مائلاً كل زاوية وجأ وسنى !

ولقد بحثت عن الأدب فما اهتديت إليه بغير أبواب الملوك ،  
ولأنه ليجالس الملوك ؛ يشون له فيش لهم ، ويصدون عنه فيمنز  
بهم . فإن يهبوا له المطايا ينفعهم بيدائمه ، وإن يحكوا عنه  
وينتضوا في مقاتله سيفاً حديداً يناهضهم بلسان أمضى من  
القاطع الفتاك

وما هي عطاياهم تجاه بدائمه ؟ ... عطاياهم تذوب ونفائمه تبق ؛  
عطاياهم تذوب لا تنبت على الأيام ، على حين أن نواجهه تفل من  
عزم الأبد ، ولولاه ، لولا ما يخلع عليهم من مدح ، لتناست  
الأجيال التماثية معظمهم ؛ وحتى أهاجبه تمد آجالهم ، فيصونهم  
الخلود ، لسكون الأدب تغنى بما تبهم ، أو أحسن النيل منهم وأبى  
على الزمن أن يبدي آيات سميت عن الثلاثى والاضمحلال

يبد أن فضل الأدب على الملوك لا يحو فضل الملوك على  
الأدب . فما بلغ الأدب أشده ، بل هو لم يتنفس وتنتج فيه الحياة  
للطمثنة الوضيئة ، لولا أن هؤلاء الملوك يذوونه بمطايهم ، وتوحى به  
بحال الأبهة والجلال في معيشتهم وسكنام . فالهابة والندى من  
باعثات الوحي وحوافز البيان . فلا بد لمن تمكن فيه آيات البلاغة  
أن يحسبها ويوح بما يجيش في نفسه من إعجاب وزجلال ...  
فالتاج والصولجان ينظريان على عظمة مدوسة تفتق العاطفة  
على جمودها ، وتمتل من أسماق القلوب الكلام المنجح والمنطق

الجلال . فيفيض الأدب الموهوب بالبيان الصافي ، ويتزق  
للمانى من مخابها ؛ بل هو يفوس عليها في مظانها يجلوبها العقد  
لتنظيم ويدقمه أنيق الصياغة ، ساطع الجبين !

وقد تندفع إليه هذه المانى عفواً ، دون ماكد ذهن ولا  
إجهاد نفس . فالمظلة المنبسطة أمامه بسلاطها وبهاها تهمت  
في لهبة القوة على توليد كل معنى جليل ليمادل بنمج بيانه للشهد  
السامى للنمة ، المحفوف بالنعمة ، التوهج في عينيه  
والملك للضليل نفسه لم يبلغ مكانته الشاغرة في أدب الضاد  
لوم يمش في أحضان ملوك ، ويمتسقى في بلاط أبيه شيم العزة ،  
ويلبس بيديه نخامة السلطان . فأقبل إلى ساحة الأدب مثقلاً  
بفخفخة الملوك ، وكان أده سدي هذه الفخفخة البعيدة للعمان  
المجلبة بالنعى ، اللينة الجانب ، المكينة للهنين

واسرؤ القيس ، الملك للضليل ، في طليمة موكب الأدياء  
في لنة الضاد . فالتقى الأدب بيانه المنثور في سوى بدائع ذلك  
الفتى وقد جمعت به العاطفة فانطلقت من كبده حافلة بالقول  
الشهى والصوغ المحكم الأداء . وتوالت من بعده للسلسلة حلقة  
حلقة ، وكالها تم عن طيب أصحاب الجلالة ، أو من يستوى في  
معاقلهم من أصحاب الجاه الوسيح ، والظل للآوس ؟

ومن أنطق بالأدب المصنق المتلس ، وابن أخته طرفة بن  
العبد ، وابن كثنوم ، وابن حلزة المشكرى سوى الملك عمرو بن  
هند ؟ ... فإن هذه القافلة من أدياء العهد الجاهلى مدينة لابن  
هند في الإبداع في النظم والإنشاد . وأنى لابن كثنوم أن يسمنا  
سملقته التياها :

ألا لا يجهان أحد طينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا  
لولا عمرو بن هند الملك الأثيل المجد الأبلج للتمنى ؟  
وهذه للشمة التأججة في منظوم اللابضة الديباني ، ابن كنا  
نجدها لولا النمان بن المنذر ، أبو قابوس ؟ ... فالنابضة لم يحسب  
في آياته وقوافيه ذيل الدل والإعجاب لولا هيبة السلطان  
وعاصمه الجليل :

فإنك كالليل القى هو مدركى وإن خلت أن للتأى عنك واسع  
ومثله لبيد . فالنمان سهد له الحيل إلى النظم والإجادة وهو  
في سن تقصر عن البلوغ . فظمن في حضرة صاحب السلطان  
على الزبيح بن زياد العيسى طمعات دامية أزالها بها عن مكانته  
السامقة وقد صاح بالنمان والزبيح يؤا كل :

مهلاً ، أبيت اللعن ، لا تأكل منه ؛

ولن ننسى ابن أبي سُلي ، زهيراً ، صاحب الحوليات للقتال :

سُمت تكاليف الحياة ، ومن يش

ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

فإن عليه لهرم بن سنان يداً في إفاضة للنظم وفي تغليل

للماضي الحسان :

تراه إذا ما جئته مهلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

والأعشى . ماذا تقول في الأعشى التكب ، جواب الآفاق ؟

أما أقام ياب الأسود ، أخي النعمان ، يغالي في المدح ويسأل

المطاء - والشي فتفتح الماء ؟

هذا في العهد الجاهلي . وقد كان العهد الإسلامي في مسهله

أضفى حازم على النظم والإبداع . فالدعوة الإسلامية بحاجة إلى

من ينادي بها ، ويذيع فضائلها ، والخصوم يتألبون عليها .

فانتصب للمناخفة عنها حسان بن ثابت الأنصاري . واعتمده النبي

العربي في الكفاح . وأسمنا كعب يتيمة :

بانت سعاد قلبي لليوم مقبول ...

وظاف الخطيئة بالأبواب يستندى ويستعيد . ومن أمسك

عند يده هنده بمقعات لسانه ؛ فأجده في الجاهلية أبو سفيان ،

وأجزله في الإسلام للمطاء عمر بن الخطاب ، فابتاغ منه لسانه

بثلاثة آلاف درهم ثلاثا يطلقه في سب المسلمين لا يخشى ،

ولا يتعاهى خش للقول وللتهشم

وينض للعهد الأموي بالحياة ، فإذا الأخطل يبدو ويقبل

في أثره للفرزدق وجرب . ثلاثة ماول للدم ودك الماقل للشمخرة .

ويحط معاوية يده في استهالة الأدباء فكان للأدب في عهده موسم

خصب وسوق ناقة . فكل من أحس في نفسه ميلاً إلى الأدب

تبع ميله وماشي هواه . فالعهد بات عهد نظم وخطابة وإنشاء ،

يمدح الأدباء معاوية ويزيد ابنة فتتلى أيديهم بالمطايا النفيسة ،

ويضم الخلفاء ويكسب الأدب ا

ولم يدم هؤلاء الأدباء ساعات لهمو يبيحون فيها للنفس

سجيتها ويتطوفون بما ينتفض في قلوبهم من عاطفة مشبوبة وهوى

دقيل . فيغدنا الأخطل عن حبه لكأس واستهاته بآنة المنقود

وينسب جرب بقاتنته أم عمرو وقد سلبت صفاء للقلب ؛ وتسيبه

حور للميون ، فما يتالك أن يقول :

يقتلن ذا اللب حتى لا حراك به ومن أضعف خلق الله إنسانا

ويوضح الفرزدق فمقه في مقاله :

هما دلتان من تمانين قامة ...

وهو هو للقتال في زين العابدين ، حفيد علي بن أبي طالب :

هذا ابن قاطمة إن كنت جاهله يجده أنبياء الله قد حُتموا

والقصيدة من اسمي المنظوم ، وهي في المدح لا عدل لها ،

فمن أوحى بها ؟ ... ابن بنت النبي ، ملك من سلالة ملوك وإن

م ناموا في مطلع نهضتهم عن التاج والسولجان

وعظمة سبحان وائل ، الخطيب البليغ اللسان ، أين تجلت

في أبهى جلالها ؟ ... أليس في بلاط معاوية الأول ؟ ... وبيان

عبد الحميد للكاتب أين سما ؟ في بلاط الخليفة الجمدي ، خاتمة

الملوك الأمويين ا

\*\*\*

وزحزح العهد العباسي لثامه فإذا ابن المقفع في خدمة أعمام

الخليفة ، وإذا الخليفة العباسي الثاني يدعو إليه ويكلفه نقل

الكتب الأجمية القائمة المبيت إلى لثة للضاد . وهكذا نعمنا -

بكيلة ودمعة ، أتق مثال للأدب الوزين ا

واتسع المجال في متدى الخلفاء لكل ناظم وكاتب . فقام

أبو دلالة وأبو معاذ الأعمى بشار بن برد ، في بلاط للمهدى .

واشدد الإقبال على الأدب . ولم يكن بيت المال في بغداد دون بيت

المال في دمشق ، فتألفت المدارس الأدبية ، وبدا المنشئون في

سطوة وهنارة . فالعباسيون شاءوا أن يبرزوا الأمويين في العلم

وبث الدعوة . وما خلا الجو للرشيد حتى أصبح أدب الضاد

مشمل هدى ؛ وكان قد أضاء في سماه الخليل بن أحمد ، وأبو نواس ،

وأبو المتاهية ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ، وسيبويه ، والجاحظ ،

والكسائي . وجاء للمأمون فإذا أوسع نهضة أدبية في لثة للضاد

تنجلي . فما شهدت لتفتنا عهداً فواحاً خصياً في الأدب والعلم -

كهده للمأمون ا

وتبض للمأمون قامت دولة أخيه المتصم . وفي كنف

المتصم لمع أبو تمام . وكان التوكل تنبغ في رحابه الشاعر

البحرئى . وانتهى الموكب إلى المنفى فطلعت مواهبه في حنى

الملوك ، ولا سيما في بلاط سيف الدولة الحمداني

وما شد الأدب في الأندلس عن القاعدة . فماش في ظلال

الملوك وانطلقاً بانظفء الملوك ، مثله في دمشق وبغداد . فما إن

تنفضى الدولة حتى يأوى إلى المضجع . ولقد طال هجوعه نحواً

## جميل نخلة المدور

١٨٦٢ - ١٩٠٧

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

—\*—\*—\*—

٤ - مؤلفاته

الذي لم يقف على شيء من ترجمة المؤلف قد يظن أنه رجل هراق ، وهذا أمر متوقع ، فإن جميل نخلة المدور ، هنيء عناية خاصة بتاريخ العراق ، وخدمه خدمة مشكورة يحفظها له التاريخ على مدى الأيام ، ويقدرها له أبناء العربية حق قدرها ، وعلى الأخص أبناء العراق منهم

فلقد قضى ردحاً من حياته في تدوين تاريخ العراق قبل العهد الإسلامي وبمسه بكتابه : ( تاريخ بابل وأشور ) ، ( حضارة الإسلام في دار السلام ) اللذين سنخصصهما بجزء من كلامنا في ما يلي من هذا المقال . ودونك لحة عن كل من مؤلفاته :

## ١ - تاريخ بابل وأشور

لا تتألى إذا قلنا إن ( تاريخ بابل وأشور ) هو أول كتاب ظهر من نوعه في اللغة العربية ، والى نمده ، أنه لم تشهد العربية منذ صدوره حتى يومنا

من صباه سنة ، فلم يتنافس بسوى انتظام اليازجي الأول في ديوان الأمير بشير الثاني حاكم لبنان

وكان قد بث في وادي النيل في عهد محمد علي - وبلغ أوجه في دولة عباس حلمي . وقد زانه شرق وخليل وحافظ وإبراهيم اليازجي وبجيب الحداد وولي الدين يكن ومصطفى لطفي المنقلوبى بأبهى حلل البيان . وإنه ليتهادى اليوم في خطوه مقيماً دوحة أبناء محمد علي الباذخة . فكانه يستطيب أبدأ محبة الملوك . فلا تقوم له قاعة في سوى جنابهم ، ولا تقدر فيه المزيمة وتلعب الحياة إلا وهو يجالسهم . فوسمه موصمهم ، كأن دولتهم دولته ، وكان أبناءه أشباه لهم وأنداد ! ( بيروت )

كرم علمم كرم

هنا سوى كتابين في هذا الباب : أحدهما ( تاريخ كلدو وأنور<sup>(١)</sup> ) للاملا للأسوف عليه للميد أدنى شير . وثانيهما رسالة بعنوان : ( مقالة في مملكة أنور<sup>(٢)</sup> ) للاملا البطريرك رحمان . ولم تهتد إلى غير هذه التصانيف الثلاثة باللغة العربية مما يتعلق بهذا الموضوع الواسع النطاق . مع أن الكتب للموضوعه فيه باللغات الأفرنجية تكاد لا تحصى لوفرها !

على أن لجميل نخلة المدور فضل للسبق في هذا الميدان ؛ فقد نشر كتابه أولاً في مقالات ظهرت على التوالي في اثنين وعشرين جزءاً من المقتطف<sup>(٣)</sup> . ثم جمعت تلك المقالات في كتاب خاص طبع في بيروت في الطبعة الأميركية سنة ١٨٧٩ في ٦٢ صفحة . ثم جدد طبعه بمطبعة الفوائد في بيروت سنة ١٨٩٣ في ١٢٨ صفحة

ولا نرى للتعريف بهذا الكتاب خيراً من أن نقبس من مقدمته الفقرة التالية على لسان مؤلفها<sup>(٤)</sup> :

« ... وألفتُ هذا الكتاب في تاريخ آشور وبابل ، وقد جمته من أشهر أقوال المؤلفين في هذا الأوان ، مما وصلوا إلى تحقيقه بعد شهادة الاختبار والبيان ؛ وقسمته إلى قسمين : أحدهما جغرافي يبين الحدود والمساحات ، والآخر تاريخي ذكرت فيه ترجمة من أشهر من ملوكهم وعظماهم ، وما أشهر لهم من الفتوحات وعظائم الأعمال إلى حين اقتضائهم ... »

وهذا الكتاب « وقف عليه القنوي الشيخ إبراهيم اليازجي فهذب عبارته وصحح مباحثه ، وجاء تقياً من الكلف ، بريئاً من الكلف ، قريب اللفظ على بُعد مرامه<sup>(٥)</sup> »

وكم كنا نود ، لو أشار المؤلف إلى المراجع التي استند إليها في تصنيف كتابه ، التي نظنها كانت بالفرنسية ، لإجادة هذه اللغة على ما أسلفنا للكلام عليه

(١) طبع المجلدان الأول والثاني في بيروت سنة ١٩١٢ - ١٩١٣ ،

والثالث نعتت مسودة في الحرب العظمى للاسبانية على ما انتهى إلينا .

(٢) طبعت في بيروت في (٥١) صفحة دون ذكر سنة الطبع . وهي

في الأصل نصرت في المجلد الأول من مجلة « الآثار الشرقية » ، الصادرة

في بيروت سنة ١٩٢٦

(٣) انظر المجلدات الثالث والرابع والخامس من المقتطف ، الصادرة

في السنين ١٨٧٨ - ١٨٨١ م .

(٤) تاريخ بابل وأشور ( ص ٤ من الطبعة الأولى )

(٥) المقتطف ( المجلد الخامس ، ص ٥٥ )

وعاداتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم ، وبين ما بين الحياة الممجبة والحياة المدنية من التضاد ؛ فزاد ذلك بما في الرواية من الإفادة وقد نقلها جميل نخلة للدور إلى العربية ، وطبعها في بيروت سنة ١٨٨٢ م

والذي نعرفه أن لهذه الرواية ثلاث تخرجات عربية أقدم من للخوري عيسى بتر والأورشليمي الروي<sup>(١)</sup>، ومن هذه لترجمة<sup>(٢)</sup> نسخة خطية في خزنة باريس الوطنية ( Ms. 3680 ) ، والثانية لجميل نخلة للدور ؛ والثالثة<sup>(٣)</sup> لفرح أنطون ، وقد طبعت هذه الأخيرة في نيويورك سنة ١٩٠٨ في ٨ + ٤٨ صفحة

### ٣ - التاريخ القديم

هذا الكتاب مختصر في التاريخ ، لم يعلم مؤلفه الذي جمع مواد من مراجع مختلفة ، مبتدئاً به بسنة ٤٩٦٣ قبل الميلاد ، ومنتهياً به بسنة ٣٩٥ للميلاد ، وقد رتبته على مقدمة وثلاثة كتب ينطوي كل منها على فصول ، وسار فيه بحسب السنين

نقله جميل نخلة للدور إلى العربية ، وطبعه في بيروت سنة ١٨٩٥ في ٣٥٦ صفحة<sup>(٤)</sup>

### ٤ - مضارة الإسلام في دار السلام

هذا هو أسى مؤلفات جميل نخلة للدور ، وأعظمها شأنًا ، ولتقطب التي تدور عليه شهرة . فقد ألفه بطريقة ربما لم يسبقه إليها أحد في اللغة العربية<sup>(٥)</sup> اشغل في تصنيفه زهاء العشر سنوات . فقد نشرته فصلاً في المقتطف<sup>(٦)</sup> سنة ١٨٨٠ بعنوان ( البصرة في خلافة المنصور ) . فوطاً محرر المقتطف حينذاك لهذا الفصل بالكلمة التالية :

- (١) نقل إلى العربية بضمة كتب وبعض مقولاته تاريخها سنة ١٨١٢ م
- (٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ( ص ١٢٠ )
- (٣) فهرس دار الكتب المصرية ( ٧ : ٢٤٩ )
- (٤) في فهرس دار الكتب ( ٥ : ١٠١ ) تفصيلات أخر من هذا الكتاب .

- (٥) هذه تشبه الطريقة التي سلكها برتلي أحد أدباء فرنسا ( ١٧١٦ - ١٧٩٥ م ) التي روى على هذه الصورة سفر أحد الأجانب المدهو أنا كرسيس ( Anacharsis ) إلى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر واصفا ما يستحسنه من عادات اليونان وأخلاقهم وعولتهم . ومثله سفر تليماك Télémaque لكتاب الفرنسي فيليون ( ١٦٥١ - ١٧١٥ م ) وهذا الكتاب الأخير نقل إلى العربية وطبع
- (٦) المقتطف ( ٥ [ ١٨٨٠ ] ص ١٧٧ - ١٨٠ )

وقد وقفنا منذ زمن على بحث للعلامة الأب أنطاس ماري الكرملي عنوانه : ( سلوان الأرسى في إروان كسرى<sup>(١)</sup> ) ، فيه نظرات نقدية صائبة للأعلام الواردة في هذا الكتاب ، وجهها بشيء من العنف ، إلى مؤلف الكتاب ، وأربال أخرى إلى مصححه اليازجي

ومهما يكن من أمر فإن مباحث الكتاب أُنحت في وقتنا هذا قديمة لا بركن إليها ، نظراً إلى ما دخل هذا ( التاريخ ) من الحقائق الجديدة التي هي ولا حراء وليدة علم الآثار . ولا يخفى أن هذا العلم قد أحرز تقدماً مدهشاً في مختلف الميادين خلال هذه المدة التي أربت على الستين سنة ؛ فإذا تركنا هذه الملاحظة جانباً ، وجدنا في الكتاب بمد ذلك دليلاً واضحاً على ما كان عليه ذلك العلم قبل أكثر من نصف قرن ؛ وفي معرفة ذلك فائدة جلية أن يبنى دراسة تاريخ العلوم

### ٢ - أنا

صنّف هذه القصة الخيالية للكتاب الفرنسي الشهير شاتوبريان<sup>(٢)</sup> Chateaubriand سنة ١٨٠١ م باللغة الفرنسية<sup>(٣)</sup> وهي رواية انزعها المؤلف من كتابه ( عبقرية النصرانية )<sup>(٤)</sup> ، ولم يكن يومئذ قد أكمله . والحادث الذي تدور عليه الرواية ورد في أميركة الشمالية ، وذلك أن ( شكتاس ) أسره جيل من الناس كان عدواً لرقاقه . فحكم عليه بالإحراق ، وكانت ( أتالا )<sup>(٥)</sup> ابنة الزعيم الأقوى للقبيلة المادية ، فشقت الأسير وخلصته في الليل وفرت به إلى الغفار . أما وصف المؤلف لما انتاب المشيقين من الخوف والأمل والحب ووخز الضمير الذي كان يذب هذين الغارين الطاهرين ، فنن القناع الأدبية الرائعة ؛ ففي هذه القصة المؤثرة التي وصف فيها التفرام وصفاً بلياً أوحى شاتوبريان إلى أوروبا بما لم جديد . فقد ذكر البعيريات العظيمة والحراج الأبار التي تنشئ أميركة الشمالية ؛ ثم انتقل إلى وصف قبائل هندوها

- (١) المشرق ( ٥ [ ١٩٠٢ ] ص ٦٧٥ - ٦٧٦ بالحاشية )
- (٢) ولد سنة ١٧٦٨ ومات في باريس سنة ١٨٤٨ م .
- (٣) عنوانها الفرنسي Atala
- (٤) Le génie du christinnisme
- (٥) يقرب هذا الاسم من اللفظة العربية « الأتلة » التجة للبروفة التي هي بها بعض النساء العربيات

والآراء الصائبة ، ما تقر به العين وترتاح إليه النفس ، لأنه جاء فيها بألفاظ مستعذبة وعبارات بليغة

فهذه الزايات أهابت - على ما نظن - بوزارة المعارف المصرية الجليلة إلى طبعه وجعله كتاباً للمطالعة ، وتكتم ما فملت ا

وقد أبدى أحد الكتاب ارتياباً في صحة نسبة هذا الكتاب إلى جميل الدور ، فقال<sup>(١)</sup> : « ... وكان للشيخ إبراهيم اليازجي يصحح له ( أي يصحح للجميل ) ما يكتبه ، وفي أحدهما من يرى أن حضارة الإسلام لليازجي ، وأنه نحله جيلاً في أيام إدقاق الأول وإثراء الثاني ا »

غير أننا لا نميل إلى هذا الرأي ، ولا نرى فيه ما يحملنا على تصديقه ، لأن كتاباً يُنفق من العمر في تأليفه نحو من عشر سنوات مما لا يجوز أن يتحل ، خاصة وأن الشيخ إبراهيم اليازجي لم يكن بتلك الدرجة من الفاتنة التي تدفعه إلى مثل هذا للهدل العظيم ا

٥ - نماذج

هذه هي مؤلفاته المطبوعة التي بوسع القارى أن يرجع إليها إن شاء . ولديه تأليف غيرها لم تطبع ، ولم نقف على شيء من أسرها سوى ما ذكره العلامة الأب شيخو<sup>(٢)</sup> من أن للجميل « في بيت أهله مخطوطات متفرقة أدبية وتاريخية وروائية »

ومما ورد في نهاية مقدمة كتاب حضارة الإسلام في دار السلام قوله<sup>(٣)</sup> :

« ... وقد عفتت النية ، لإجابة لرغبة علماء السلفين ، ممن تفضلوا باستعسان هذا الكتاب ، على متابعة سرد التاريخ الإسلامي في شكل هذه اللوحة من الروايات ، وتنسيقها في مثل هذا السمط من درر الآيات البينات ... »

والذي يؤسف له أن تلك النية الحسنة لم تتحقق . ولا نرى السبب في ذلك إلا اشتغاله بأمر الصحافة ، أو إلى أن يد اللنون امتدت إليه فاخرتمته ا ونحن واتقون من أن أمينته لو كانت قد جرت مجرى التنفيذ لكنا نتمتع اليوم بنخار كثيرين من للكتب وترقل في جنة من الأدب فيها من كل فاكهة زوجان ،

( بغداد ) كوركييس هراد

« هذه التنبئة من كتاب قد باشر تأليفه للشاب اللبيب جميل أفتدى للدور ... [ إلى أن قال ] : فنطلب له عام للتوفيق إلى إنجاز هذا الكتاب الذي لا نحصى فوائده ولا تمن فرائده » ولم تظهر الطبعة الأولى لهذا الكتاب إلا في سنة ١٨٨٩ م وهنا ندع القول للمؤلف بنصح لنا عن الطريقة المثلى التي سلكها في تصنيف هذا الكتاب الخالد ، قال في المقدمة :

« هذه رسائل ، وضمت فيها عصرراً من عصور الإسلام قد أشرق به نور العلم ، وجرت فيه أعمال عظيمة قام بها رجال كبراء ملأوا العالم بآثار جلالهم ، وجملت الكلام فيها لرحالة « فارسي » طوَّفته معظم البلدان الإسلامية في المائة الثانية للهجرة وطوَّفته مناصب الدولة برعاية البرامكة إلى أن نكبهم الرشيد ... » قال كتاب رسائل تبلغ العشر عدداً ، كتبها الرحالة الفارسي الخيالي من سنة ١٥٦ إلى سنة ١٨٧ للهجرة ؛ وقد سطر الأولى وهو في النهروان سنة ١٥٦ ، والثامنة وهو في بحر تونس سنة ١٨٦ ، والثامنة وهو في الشاعر المباركة سنة ١٨٦ أيضاً .

أما الرسائل السبع الباقيات فقد كتبها وهو في بغداد

وقد لخصه من خمسة وعشرين تصنيفاً تمد بحث من أمسي المؤلفات العربية القديمة للباحثة في علوم الدين واللغة والبلدان والأخبار والأدب وغير ذلك . وما لا بد من ذكره هو أنه لم يدون حقيقة أو يسطر قضية إلا أسندها في الحاشية إلى المرجع الذي أخذها منه ، وأشار إلى الصفحة في كل مرة ينقل من هاتيك للمؤلفات الخمسة والثمانين التي ألما إليها . وفي هذا من المشقة ما لا يدركه إلا الذين طأوا مثل هذا التلخيص في كتاباتهم

ومن يطالع هذا الكتاب ، يدرك أن الفرض من وضعه إظهار طرف من مآثر العرب ومفاخر الإسلام أيام هرون الرشيد والبرامكة . فهو يكشف للقارى ما كان عليه القوم من علوم وآداب وعادات ومتاجر في بغداد وغيرها من البلدان . أضف إلى ذلك أنه موضوع على منوال رحلة لرحالة متفقه بالعلوم والآداب المعروفة في ذلك الزمن ، فهو يصف المدن والمآبد والمشاهد واللباني والصفن واللواني وهياث الملوك والوزراء والعلماء والشعراء والمثنيين وغيرهم من الرجال ، ويبين ما كانت عليه طباعهم وميولهم وأفعالهم كما وصفهم الواسفون من أبناء زمانهم المعاصرين لهم

وفي الكتاب ، من الفكاهات والنوادر والأخبار المحققة

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي (١ : ١٩٣)

(٢) المخطوطات العربية (س ٢٨٧)

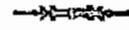
(٣) حضارة الاسلام (مقدمة الطبعة الثانية)

شخصيات تاريخية

## ٥ - تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب



قضى تيموستوكل للبقية الباقية من حياته وهو يعمل على تنفيذ هذه السياسة ، ويكاد يكون هو الوحيد الذي سار في هذا الطريق ، فهو لا يألو جهداً إلا بذله للنكابة بالمدو اللدود وهو إسبرطة ، ولكن الشعب الأثيني تحلى عنه ولم يسايره ، إذ داخلته الشكوك من ناحية ، فغشى خطرته وأصبح يعتقد أن له مآرباً في تنفيذ هذه السياسة ، لذلك كان وحده دون معين ولا نصير في هذه الفترة الأخيرة من حياته وهي الواقعة بين معركة سلامين وماتة ( من ٤٨٠ في ٤٦٤/٤٦٣ تقريباً )

قضى تيموستوكل هذه الفترة شريداً طريداً حتى لم نمد نسمع عنه كثيراً ، بحيث تكاد تكون هذه الحقبة من تاريخ حياته غامضة ، هي غامضة لقله الوثائق التي تشكل عنه ، وبالرغم من هذه القلة نستطيع أن ننسج الأخبار من بين المسطور التي كتبت فيها والتي توجد لدينا ، فهذه الوثائق لا تتحدث عنه إلا في فترات متقطعة ، ولكنها ، على ندرتها ، ثمينة جداً لأنها تخبرنا عن تيموستوكل وعن شيء من نشاطه ، فهي تربنا أن تيموستوكل للشيخ لا يختلف عن تيموستوكل الشاب . ألا يزال هو هو ، كله حركة ونشاط ، لا يمتريه اليأس ولا يقل من عزيمته عظم المهمة التي ناط نفسه بالقيام بها ، فهو لا يحجم عن الانتقال من مكان إلى مكان للقدس ضد إسبرطة والإيقاع بها أيما استطاع لذلك سبيلاً ، فزاه حيناً في أرجوس يعمل على قلب نظام الحكم الأوليجاركي وإقامة للنظام الديمقراطي مكانه ، وحيناً آخر في دولتي إيليد وأركاديا . وهو في كل هذه البلاد يقوض من أسس للنظام الأوليجاركي الذي يؤيد الدولة الإسبرطية ويشجع قيام للنظام الديمقراطي لكي تكون هوناً للدولة الأثينية ، وفي سبيل ذلك نراه لا يتردد من أشق المهام ، كتأليف اتحاد من المدن الأركادية

لحاربة إسبرطة ، وينجح في هذه المهمة ولكن إسبرطة له بالرصاد إذ تتمكن من إلحاق الهزيمة بهذا الاتحاد الأركادي وتغلب عليه في موقعة ديبايا (عام ٤٧٢/٤٧١ ن . م) ، فتفتح عينا تيموستوكل ويرى بوضوح كامل أن إسبرطة ما زالت قوية على بأس عظيم بحيث تستطيع التغلب على أعدائها ، فيحاول أن يسلك سبيلاً آخر ، إذ يمس ، بعد هذا للفشل القريع ، إلى الليل منها داخل حدودها وذلك بتقويض دعائم نظام حكمها وإثارة المستائين ضدها من سكانها مثل البيرييك والهيلوث . ولتنفيذ هذه السياسة يجده يتقرب من شخص آخر يشبهه في الناصرة والجرأة وهو الملك الإسبرطي بوزاناس ؛ ونجح في التناغم معه على التآمر ضد الحكومة للقاءة ، وسمل الاثنان للاتفاق مع ملك للفرس ، ولكن الشرفين على الحكومة الإسبرطية وفتقوا في للكشف عن هذه المؤامرة والقبض على بوزاناس ، وقد ثبت لديهم أن تيموستوكل اشترك مع بوزاناس في التآمر ضد دولتهم ، فطلبوا إلى أثينا مساعدته ، وتلبى أثينا هذا الرجاء وتستدعيه من حيث كان يقيم . وبدلنا هذا على مبلغ كراهيته من الشعب الأثيني حينذاك ، ولكنه لم يأبه لهذا الاستدعاء ولم يحفل به ، بل ظل في الخارج ، ونحن لا نعرف في أي مكان كان يقيم في ذلك الحين ؛ ولكن كل ما نعرفه هو أنه كان يهرب من مكان إلى آخر خوفاً من أن يقبض عليه ويحمل إلى أثينا فتفتك به إجابة لرغبة إسبرطة ؛ أخذ ينتقل من بلد إلى بلد حتى أتى به عصا للتسيار إلى بلد عدو من أعدائه هو أديميتوس ملك « المولوس » في شمال غرب اليونان ، وقد كان عداء هذا الملك لتيموستوكل شديداً جداً . ولكنه استقبله وأضافه بالرغم من هذه العداوة الشديدة وهذا البغضاء المستحکم ؛ لأن عادات الضيافة عند اليونان كانت قوية لا تبيح للشخص أن يطرد ضيفه ولو كان من أعدائه ؛ بل ولم يقبل هذا الملك أن يسلمه إلى أعدائه ، وذهب إلى أبعد من هذا فشجعه على الحرب ونظم له الوسيلة وجهزه بكل ما يحتاج إليه من وسائل السفر ، فتمكن له الذهاب إلى « بيدينا » في مقدونيا ، ومنها يركب السفينة قاصداً آسيا لملاقاة ملك للفرس ، ولكن زوبئة تهب على السفينة فتغيرها عن وجهتها حتى تصل إلى جزيرة تاكوسوس في بحر إيجه فيحاول تبطنها

إلى ملك الفرس فأما كان ذلك اضطراراً منه ، لأنه رأى وطنه يطارده في كل مكان راعياً للفنك به ، فتخلص من هذا وهرب حيث قابل ملك الفرس الذي أعقد عليه النعم والمطايا ، وشأنه في هنا لا يختلف عن شأن غيره من كبار اليونان الذين كانوا يضطرون إلى خدمة ملك الفرس حيناً يرون بلادهم تنصرف عنهم وتحسب ثقتهم منهم ، ونحن بعد هذا لا نستطيع أن نعتبر إلتجاءه إلى الفرس خيانة منه لبي قوم ، وإنما كان ذلك لرغبته في الحياة والإبقاء عليها . وكيف السبيل إلى كسب العيش ووطنه قد نفاه وشرده حتى أصبح لا يجد مكاناً يلتجئ إليه عند اليونان على سمة بلادهم وامتداد أطرافها . وقد يلومه بعض الناس على هذا الإلتجاء إلى ملك الفرس ولا يبرئونه من تهمة خيانة وطنه ، إذ لو كان بريئاً حقاً من هذه التهمة لقدم نفسه إلى الحاكم ومن تفصل في ذلك حتى ترجع الحق إلى نصابه ، ولكن غاب عن هذا التفريق أنه لم تكن توجد محاكم في أثينا بالمعنى المعروف لدينا في الوقت الحاضر ، وإنما كان الفصل في قضايا الحياة للمظن راجعاً إلى الشعب وحده ، ونحن نعلم ما كان عليه الشعب الأثيني من تهور واندفاع حينما تعرض عليه القضايا السياسية التي تتطاحن فيها المصالح وتتنازع عليها الأحزاب ؛ كلا لم يكن ذلك في استطاعة تيموستوكل ولم يكن هذا الإلتجاء إلى ملك الفرس خيانة منه وغدراً بالمعنى الصحيح ، فهو يعتبر من غير شك خطأ ولكن لهذا الخطأ أسبابه ومبرراته التي تجعلنا لا نفلو في الحكم عليه . وكيف نفلو في الحكم على تيموستوكل وكلنا إعجاب بما قام به من أعمال يعجز عن القيام بها كثير من أفراد البشر ؟ ألم يتمهد بلاده في وقت الخطر ويسدها خير إعداد للمركبة الفاصلة ؟ ألم يحرز لها نصراً حاسماً أبعد عنها الخطر الفارسي إلى زمن طويل ؟ ألم يكن هو من الأشخاص الرئيسيين الذين شجعوا على تكوين حلف ديولس ونحن نعرف أن هذا الحلف تطور فيما بعد حتى أصبح إمبراطورية تعرف في التاريخ القديم بالإمبراطورية الأثينية البحرية ؟ ألم يعمل بعد ذلك على التأسيس والإصلاح وإزالة الخرائب والأقاضي بيناه الأصوار وإقامة التحصينات ، حتى أصبحت أثينا ومعها يريه قلب بلاد اليونان بل ومركز الحضارة اليونانية حتى قال عنها بركليس « إنها أصبحت مدرسة اليونان

الرجوع به إلى أثينا ، ولكنه مازال وراه بالوغود الخلابة الجلية حتى حمله على أن يتوجه به نحو مقصده ، ووصلت السفينة آمنة سالمة إلى شواطئ آسيا الصغرى . وهناك نزل منها في هذه البلاد . وطئت أقدامه أرض « إغيز » ، فهل تظن أنه أخذ إلى الهدوء بعد ذلك ؟ وكيف السبيل إلى هنا ولا وطن له الآن يتعلق به ، ولا أرض يدافع عنها ، بل هو شريد طريد ؟ من أجل هذا ضمم على مقابلة ملك الفرس ليرى ماذا هو قائل به — وهنا يختلف المؤرخون في شخص الملك الذي قابله تيموستوكل ، فيقول المؤرخ توسيديد إنه وصل إلى عاصمة الفرس حينما اعتلى أرتاجرزييس العرش ، ويقول المؤرخ فايناس ويواقفه على هذا الرأي بلأنارخوس إنه قدم نفسه ليوجرزييس الذي طالما حاربه لأرتاجرزييس — وهذا الخلاف بسيط لا يمنع الحقيقة الواقعة وهي أنه ذهب إلى عاصمة الفرس وقابل جاهل الفرس أيأ كانت شخصية هذا الجاهل ؛ وأن هذا قد أعقد عليه النعم والمطايا وخلع عليه كثيراً من الهدايا وعمنه والياً على بعض المدن التي أخذ يسومها حتى قضى بحبه وهو في النبي بعيداً عن وطنه وأرض آباءه وأجداده

هنا يختلف المؤرخون أيضاً في الطريقة التي مات بها . ففهم من يقول بأن ملك الفرس كانه بقيادة حملة لحاربة الأثينيين في مصر ، ولكنه رفض أن يخون وطنه فانتحر لعدم استطاعته تلبية مولاة وسبده . ومنهم من يقول بأنه مات ميتة طبيعية في عاصمة ولايته بيلدة « ماجنيزيا » في شمال آسيا الصغرى بعد مرض لم يمهله كثيراً

\*\*\*

ألا ترى إذن إلى خاتمة حياة هذا البطل العظيم ، كيف انتهت على هذا النحو من المذلة والعار بعد أن كان قد وصل إلى قمة المجد وذروة الرقة والمهلمان ؟ ألا ترى أن هذا من شأن العظماء ، لا تسير حياتهم على وتيرة واحدة وإنما يمتريها الرقة والانحطاط ؛ فأنت لا يمكنك بعد ذلك أن تظن أن تيموستوكل قد خان وطنه ، إذ لم يصل إلينا شيء يثبت أنه قام بعمل الخن الضرر ببلاده ، بل استمر مخلصاً لها وفياً أميناً ، حتى أنه رفض الذهاب في حملة إلى مصر لحاربة أبناء وطنه ، كما ذهب بعض المؤرخين مثل ستهنبروث Stésimbrote فهو وإن كان قد لجأ آخر الأمر

## ١٣ - المصريون المحدثون

## شماثلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي اورد ولجم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

## المكرمة - تابع الفصل الرابع

سبقت الإشارة إلى عمل الضابط ، وهو الآن رئيس الشرطة . أما خبروه الذين لا تميزهم ميزة ، فينتشرون في أحياء العاصمة ويحتلطون بالناس في المقامى وكلهم عيون وأذان - وأغلبهم لصوص 'مضى عنهم - وهم يراقبون الحرس في دورته الليلية خلال شوارع القاهرة . ولا يسمح لأحد غير المعنى بالتجول في الخارج بلا مصباح أو أى نور بعد غروب الشمس بحوالى ساعة ونصف . وكلما ترى سائراً بعد ساعتين أو ثلاث . ولا يكاد الليل ينصف حتى تمر في العاصمة جميعها فلا تقابل أكثر من عشرة أشخاص أو عشرين خلا المراقبين والحراس وبوابى الحارات والدروب . وعند ما يمر عابر سبيل يتناديه الحارس بالتركية :

جميعاً ؟ أم يؤسس لأنينا هذا الأسطول البحري العظيم الذى جعلها دولة بحرية بعد أن كانت دولة برية والذى كان للمهاد الذى تعتمد عليه الإمبراطورية الأثينية ؟ قام تيموستوكل بهذه الأعمال الجليلة لأنه كان يضع مصلحة قومه في المكان الأول من اعتباره فيتناسى شخصه ومطامعه ويتجاهل حتى تنكر له قومه وبنو وطنه . كان إذن تيموستوكل من بناء مجد أثينا في القرن الخامس حتى يدعونا هذا إلى أن ننضمه في صف كبار الأثينيين ، فهو لا يكاد يقل شأنًا وأهمية عن زعيم آخر من زعماء الديمقراطية ، وهو بركليس ، وإن كان للناس قد أطلقوا على القرن الخامس عصر بركليس وأفردوا بركليس بهذه التسمية ، فإننا نرى أنه يحق لتيموستوكل أن يدعى لنفسه شيئاً من هذا الفخر والمجد فيطالب بأن يسمى هذا القرن عصر تيموستوكل وبركليس معاً .

محمد الشهاب أرباب

« من هذا ؟ (١) » فيرد السار بالمربية : « ابن بلدنا (٢) » والحارس الخاص كذلك يصيح : « وُحد الله » أو « وُحد » فقط ، فيجيبه السائر : « لا إله إلا الله » . ولا يختلف النصارى عن المسلمين في هذا القول ، فهم يفهمون للتوحيد فهماً مختلفاً . والمفروض أن اللص أو من يشرع في مخالفة القانون لا يجرؤ على التعلق بهذه الكلمات . وبعض الأشخاص يجيبون الحارس بصوت مرتفع : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . ويستخدم الحارس الخاص لحراسة الأسواق والأحياء ليلاً ، وهم يحملون (نبوتاً) ولا يحملون مصباحاً

والعادة أن يتجول الضابط ، أو أنا للشرطة ، في شوارع القاهرة . ويرافقه غالباً للسياف والشملجى ، أى حامل الشملة المتملة إلى الآن (٣) . وهذه الشملة تشمل حال إنزائها فلا يصعد لها إلا حين تحرك في الهواء ، عند ما تضرم نجاة في الخارج . وهكذا تؤدي عمل مصايحنا المتعمدة . وقد يوضع على الطرف المشتمل إمام سنير أو جرة أو ينطلى بشيء آخر حين لا تازم الإنارة . ويقال إن اللصوص كثيراً ما يشعرون بالشملة في الوقت المناسب فيتفادون مقابلة حاملها . وعقوبة من يقابله الشرطى بلا نور هى للضرب . وكلما يحاول المقاومة أو الهرب . وكان لرئيس الشرطة سلطة مطلقة في ضرب منق أى مجرم أو مذنب بلا محاكمة حتى ولو كان القانون لا يماثبه بالإعدام . وكذلك كان له مرؤوسون كما سترى بعد . وقد ندر في السنوات الأخيرة مباشرة هذه السلطة . وأعتقد أنه لم يعد يسمح لهم بذلك الآن . ويقوم أعوان الضابط بدورهم الليلية مع الجنود لأنهم أحسن معرفة منهم بمنحاض اللصوص والأشرار ومناجهم . ويندر أن يباشر الضابط نفسه سلطة تخرج عن حد القمع أو الجلد .

كثيراً ما يتخذ رؤساء للشرطة وسائل غريبة مثل التى تراها في بعض قصص ألف ليلة وليلة لاكتشاف المجرم . وأذكر هنا حادثاً لا يختلف في صحته أحد على سبيل المثال . وسأرويّه بالطريقة

(١) « كمين دور أ » عوضاً عن « كيم دور أ »

(٢) « ويجيبه » أى « إذا كان لا يرى »

(٣) « وينطلى » البارون هامر بـرجستال بأستمال « مشعلجى » بدلا

من « شعلجى » . فالعامل الأخير لا يحمل مشعلا ولكن شعلة ضئولة ، وقد وصفت للشعل ورسمته في الفصل السادس

ياسيدي ، إنها في بيتي . فأرسل معها إلى المنزل السيف مجرداً من سيفه ، وطدت بكيس فيه النقود ، وأهدت الخشانة قرش إلى صاحبها . ثم أمر الأنا السيف بأخذ المرأة إلى الرُمية ، وهي مكان فميج مكشوف أسفل القلعة ، ليقطع رأسها هناك ونفذ الأمر .

أما أسواق القاهرة والموازين والمكاييل ، تخضع لمراقبة المحتسب ، وهو يجوس من حين لآخر خلال المدينة ، يتقدمه عامل يحمل قسطاً كبيراً ، ويتبعه الجلادون والخدم . وهو يمر على الدكاكين والأسواق واحداً واحداً ، وأحياناً يتفقد واحداً هنا وواحداً هناك ، فيفحص الميزان والأوزان والأكيل ، كما يفحصهم عن أثمان الموزن من ما كولات وغيرها . وكثيراً ما يستوقف خادماً ما يقابله صدقة في الطريق حاملاً ما كولات قد اشتراها ، فيسأله عن ثمنها ووزنها . فإذا تبين له أن البائع استعمل موازين أو مكاييل مشوشة ، أو طفف الميزان أو زاد على سعر السوق ، أزل به العقوبة في الحال . والعقوبة العامة هي الضرب أو الجلد . ورأيت مرة رجلاً تنفذ عليه عقوبة مختلفة ليهمه خبزاً ناقص الوزن : خزم أنفه وعلقت فيه كسكة بطول الشبر وبسبك عرض الأصبع ، وجرده من ثيابه إلا قطعة من الكتان حول صلبه ، وشد ، وفراعه خلفه وقدماه فوق قاعدة صغيرة ، إلى قضبان شبك من شبايك جامع الأشرفية في أم شوارع المدينة ، وبقى كذلك حوالي ثلاث ساعات مرشحاً لأنظار الجمهور المحتشد وأشعة الشمس الحارقة

وكان ممن عُيِّن محتسباً - بميند قدومي الأول إلى مصر - رجل كردي اسمه مصطفي كاشف ، تولى سلطته بأقصى الطرق ، فكان يقطع شحمة الأذن أو طرفها لجرم مهما صغر ولغير جرم . وفي مرة قابل رجلاً شيخاً يقود حميراً محملة بطوخاً فأشار المحتسب إلى واحدة من أكبرها حجماً وسأل عن ثمنها . فأمسك للمجوز شحمة أذنه وقال : إنظمها ياسيدي ! فأعاد عليه المحتسب السؤال مرة بعد مرة فكان الجواب واحداً . فانتأذ المحتسب ولكنه لم يتألك أن ضحك ، وقال : « هل أنت مجنون أو أحمق » . فأجاب للمجوز : « لا ، لمت مجنوناً

التي سمعتها : قصد ذات يوم رجل مسكين أنا الشرطة وقال له : ياسيدي ، أتبلت إلى اليوم امرأة وقالت لي : خذ هذا القرص ودعه في حيازتك وقتاً وأقرضني خشانة قرش . فأخذته منها ، ياسيدي ، وأعطيتها الخشانة قرش وانصرفت . وبعد انصرافها قلت لنفسى : لا تنظر إلى هذا القرص ، وتأمله فإذا هو من النحاس الأصفر ، فلطمت وجهي وقلت : سأذهب إلى الأنا وأقص عليه قصتي عسى أن يحقق هذه المسألة ويوضحها ، فليس هناك فيرك من يستطيع مساعدتي في هذه القضية . فقال له الأنا : إسغ إلى ما أقوله لك يا رجل . أتقل ما في دكانك ولا تترك فيه شيئاً ثم أتقله ، وبكر في الذهاب صباح اليوم التالي ، وبعد أن فتحت دكانك صبح قائلاً : يا حسرتاه على أموالى ! ثم خذ في يديك مدرتين واضرب نفسك بهما وصبح : يا أسفاً على أموال الناس ! فإذا سألك أحد : ما ذا حدث قتل له : ضاعت أموال الناس ، فقدت رهناً كان عندي لامرأة ، لو كان ملكي لما انتعبت هكذا . هذا كفيول بأن يكشف لنا الأمر . ووعده الرجل بتنفيذ ما طلب منه ، فنقل كل ما في دكانه . وفي بكرة اليوم التالي ذهب إلى دكانه وفتح وأخذ يصيح : يا ويلاه على أموال الناس ، وأخذ مدرتين وضرب نفسه بهما وجعل يدور في أنحاء المدينة صارخاً : يا حسرتاه على أموال الناس ! ضاع رهني لامرأة كان عندي ، لو كان ملكي لسأأهني . فسمعت المرأة التي رهنتم القرص صياحه وتبينت أنه الرجل الذي خدعته ؛ فقالت لنفسها : اذهبي وارفضي دعوى عليه ؛ وذهبت إلى دكانه راكبة حماراً لتكسب نفسها أمة وقدراً ؛ وقالت له : يا رجل ، أعطني مالي عندك ؛ فأجابها : ضاع ؛ فصاحت : قطع الله لسانك ! هل أضمت مالي ؟ لأذهبن إلى الأنا ولأخبرنه بذلك ؛ فقال لها : اذهبي اذهبي إلى الأنا وسردت شكواها ، فبست الأنا في طلب الرجل . فلما جاء قال للمشككية : مالك عنده ؟ فأجابته : قرص من الذهب للبندق الأحمر ؛ فقال الأنا : يا امرأة ، عندي هنا قرص ذهبي أود أن أريك إياه ؛ فقالت : أرينيه ، ياسيدي ، فإني أهرق قرصي . فحل مندبلاً وأخذ منه القرص التي رهنتمه ، وقال : أنظري ... فنظرت إليه وعرفتته ... فطأطأت رأسها . وقال الأنا : ارفعي رأسك وأخبريني أين يعود هذا الرجل ؟ فأجاب :

أحداً يملك نولاً خاصاً أو صادفه ببيع ما نسجه ، يشده في قطعة من هذا النسيج ينضمها في الزيت والقطار ثم يلقه هكذا على فرع شجرة ويوقد فيه النار ، فأباد للكثير بهذه الطريقة الوحشية . وقد مات هو نفسه حرقاً في جم خفير أثناء انفجار غزن بارود بمنحدر القلعة الشمالي سنة ١٨٢٤ . وقال صديق القدي حدثني عن نفاثع هذا الوحش : « عند ما نقلت جثته لدفنها صلي عليها الشيخ المرومي شيخ الجامع الأزهر يومئذ في مسجد الحسين ، وكنت أقوم بالتبليغ خلف الإمام ، فلما نطق الشيخ بالثناء ساد السكوت بين الحاضرين الكثيرين ؛ ومضى الشيخ يقول : وكان من الصالحين ، فلم يسمع لأحد صوت ، فارتبك للشيخ وقال بصوت خافت : ليرحمه الله ؛ ثم قال صديق مواسلاً حديثه : الآن نستطيع أن نؤكد أن مصير هذا الرجل المأسوف إلى جهنم ، ومع ذلك لا تزال زوجته تقيم له ختمة في منزلها ، وتوقد له كل ليلة شمعتين في مسجد الحسين ا »

ولكل حي من أحياء العاصمة شيخ يسمى « شيخ الحارة » وهو يباشر سلطته للمحافظة على النظام ولفض صغير المشا كل بين السكان ولطرد من يسكر صفو الجيران . وتنقسم العاصمة إلى ثمانية أقسام يرأس كل منها شيخ يسمى « شيخ النمن » وكذلك كان لكل طائفة من الطوائف التجارية والصناعية المختلفة في العاصمة وفي غيرها من المدن الكبيرة شيخ يحكم في المنازعات المتعلقة بهذه التجارة أو الحرفة ، ويصدق على قبول الأعضاء الجدد

كذلك يخضع خدم القاهرة لأمره شوخهم . ويستخدم الخدم بواسطة هؤلاء الشيوخ إذ يشهدون لهم بحسن السلوك مقابل قرشين أو ثلاثة . فإذا ارتكب الخادم سرقة يلزم للشيخ بتحويل السيد ، ولو لم يحصل على المال المسروق

والصوص أيضاً ، منذ سنوات قليلة اتخذوا كبيراً منهم شيخاً عليهم ، وكثيراً ما كان هذا الشيخ يطالب بالبحث عن المسروقات وتقديم الجرمين للمحاكمة ؛ وكان على العموم يتقوه بذلك . وما يستحق الذكر أن هذا النظام العجيب كان سائداً في عهد المصريين القدماء<sup>(١)</sup>

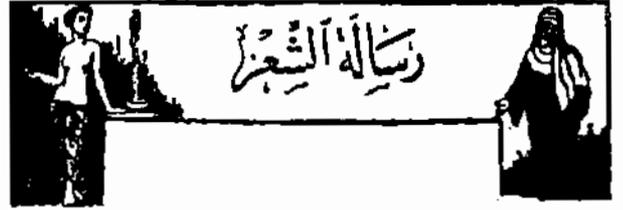
ولا أسم ، ولكني أعرف أنني إذا قلت عن البطيخة عشرة فضة فمفتقول : « إقطع أذنه » . وإذا قلت خمسة فضة أو فضة واحدة فمفتقول : « إقطع أذنه » . لذلك اختصرت الأسم وقتل انقطعها ودعني أتبع طريقتي . ولم ينجه إلا ما في تهكمه المفاجئ من فكاهة كان قطع الأذن هو المقبولة للمادية التي بؤهها هذا المحتسب ، ولكنه اتبع أحياناً طرقاً مختلفة ؛ فقد عاقب جزاراً باع لحماً ينقص عن الوزن الحقيقي أوقية ونصفاً بقطع هذا للقدس من ظهره . وأسر بتجريد بائع كثافة حصل على زيادة في الثمن فافهه من ثيابه ووضع على المصينية النحاسية المستديرة حيث نسوى لكثافة وتركه كذلك حتى احترق احتراقاً رهيباً . وكان يماكب الجزارين بوضع كلابية في أنوفهم يعلق بها قطعة من اللحم . وفي ذات يوم قابل هذا المحتسب رجلاً حاملاً صندوقاً كبيراً صفت فيه قائل نظارية من سمود وهو يبيعهما بوصفها من قنا ؛ فأمر أتباعه أن يكسروا للقل على رأسه واحدة واحدة . وكان يظهر طمأنينة خارج ولايته ؛ ففي ذات مرة خطر له أن يرسل حصانه إلى الحمام ، وطلب من صاحب حمام بجواره أن يعد العدة لاستقباله وللمنابة بتحميته وتنعيم جلده . فتقل على صاحب الحمام هذا الأمر للعجيب وخاطر بأن قال إن أرضية الحمام من الرخام ، وقد ينزلق الجواد فيقع ؛ وقد يصاب يبرد عند خروجه ، فيحسن لذلك نقل ماء الحمام إلى الإسطبل حيث تباشر عملية الحمام . فقال مصطفى كاشف : « إنى أرى السبب غير ذلك . أنت لا تريد أن يذهب جوادى إلى حمامك » . وأمر بعض خدمه أن يطرحوه أرضاً ويضربوه بالمصى حتى يأمرهم بالكف . ولم يأمرهم بالكف حتى مات المسكين

ولسنوات قليلة خلت كانت العادة أن يسمى بين يدي المحتسب عند طوافه بالديفة لفحص الموازين والسكايل ، رجل معه ميزان أكبر حجماً من الميزان المستعمل . ويقال إن قب هذا الميزان كان أنبوية مجوفة بها زئبق ، فكان حامل الميزان يستطيع إذا عرف الذين رشوا ميده أن يرجع إحدى الكفتين بسهولة

ويشرف على الأسواق العامة المستخدمون السكفون بمراقبة تجارة الباشا وصناعاته المختلفة . ووظيفتهم كوظيفة المحتسب سواء بمواد . وقد اشتهر بعضهم بارتكاب أزدل أنواع للبنى والقصوة . وكان أحدهم ويسمى على بك (ناظر القماش) إذا وجد

## أريد...

للأديب أحمد عبد المجيد الغزالي



جف الغدير ! فن للظامي\* الصادق ؟

وصوح العود تحت الهاتف الشادي

ومات زهر الربى لا الطير تندبه

حتى الزهور يقول الدمع نضرتها

غاضت منابع شعري وهي زاخرة

طالب السرى وطريقي شائك حلك

أريد لي عالماً يخفئ (حاضره)

أريد دنيا جديد الوحي يقرها

أريد أن تسكب الأنعام في خلدي

مالي وقيثارة شدت على خشب

جف التشيد على أوتارها فقدت

طوقتها حانياً ، أبكي ليلاتها

فهدى أنت أحلامي بأغنية

تغاب من تبعك الجارى من الأبد

وجدت عي عهداً الماضى فإن مرضت

ذكرى أناشيدها في الحب فانتدى

أنا الذى نهيت روى أغانيها

أريد يا جدولى السارى بأوهامى

بالأمس يا جدولى والروض يضحك لي

نديت من عذبك السلسال أحلامي

واخترت من ورق الأزهارلى صفناً

واليوم يا جدولى لا الروض يضحك لي

ولا مياهك تروى غلة الظامي

ظمت يا جدولى والجرح فى كبدي

## الطير المهاجر

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

علمتى مواسم الروض أن الطا

ير شتى : مهاجرٌ ومقيم

أترانى لا أسمع الطير إلا

في رياضى معشاً لا يريم ؟

رُبَّ شادٍ في هجرة يقضى

وعليه السلام والتسلم

من جنوب إلى شمال ، وحيناً

من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقل وداع

وله حين يقبل التكرم

خذ من الطير كل يوم جديداً

فسواء جديده والتقديم

كم مؤلِّكٍ وصفوه لا يولى

ومقيم وصفوه لا يقم

عباس محمود العقاد

قد كان شطك لي أنساً وعافية فكنت أقوى على دهرى وأيامي  
 فما لأنسى به غاضت منابه ولم تعد نرة تجرى بألهامى  
 أريد يا كرم ، ماء غير رقرق

قد برمت بهمس الكأس والساقى فكنت أقوى على دهرى وأيامي  
 على شعاع سرى في الكأس براق ولم تعد نرة تجرى بألهامى  
 سقيت يا كرم كأسى وهي مترعة على شعاع سرى في الكأس براق  
 ثملت يا كرم حتى عفت نشوتها وعفت صمتى على كأسى وإطراقى  
 مل الندامى خداع الكأس صائحة على صباح بنور النجر دفاق  
 تميل أعناقهم وللأس دائرة حتى كأن الطلائع مويذة الزاقى ا  
 ألفت يا كرم تلك الخمر صافية كما ألفت يراعانى وأرراقى  
 يا كرم ، ماصار خير الخمر أقدها إن كان ثم جديد فالهوى باق

أريد يا زهرات الروض أنفاساً غير التي عرفتنى الورد والآسا  
 ما عدت أستروح الأنسام عاطرة ريانة النفع تنسى القلب ما قاسا  
 نسيت بالروض أياماً لنا سلفت كان الندى خرتى والورد الكاسا  
 أشدو بشعرى مع الأطيوار صادحة وقد أقمنا على العدران أعراسا  
 فالزهر يبسم رفاقاً لفرحتنا والغصن يختال تحت الزهر مياساً  
 رغبته يا زهرات الروض عن أرج قد كان يملؤنى وهماً ووسواسا  
 فضي جيبك يا زهرات عن أرج ما بات يشعل في الوجدان إحساسا

أريد يا طير تغريداً كتغريدى وأن تردده في الدوح تردى  
 ما للأغانى تغنيها فأسمها فلا تطامن من همى وتسهيدي  
 سئمت يا طير أحياناً شدوت بها بين الرياحين أو فوق العناقيد  
 إن كان عندك لحن غير ما صدحت به رباك ، فوقعه على عودى  
 لو كنت كالطير في الأجواء منطلقاً لأنشد الطير للندى أناشيدى  
 وبات يتممه فنى وجدته فلن يكون له فنى وتجدىدي  
 يا وىح الطير ، لا زالت هواته تردد اللحن من أيام داود

أريد يا ليل ، إن رتل آياتى أن لا تخفف أشجانى وآهاتى  
 دعى نطلقات الدكاء أتبسها نوراً يضى - حنايا دهرى لسانى  
 شقيت يا ليل بالأضواء تعمرنى فتوقظ الألم الفساقى بأناتى  
 قد كنت بالليل تملينى إذا عصفت بي الأمانى في كيد وإعنات

فوق مسرحه غنى لمأساى أما سمعت بعمادى الدهر فزغنى  
 وخلف القلب مشبوب الصبايات ياليل أين للسكون العبرى مضى  
 ما باله لم يمد وحيلاً لأبياتى هذا السكون الذى استوحيته كلنى

أريد يا بدر نجوى غير نجوا كما قد كان يسعدنى في الليل مسراً  
 أنداء نورك كانت بلسماً عجيباً للحب ما صنعت - يا بدر - بمنى  
 دنياك دنيا الهوى والشمر عشت بها

أجنى بها الزهر ، حتى زهرها شاء وأجنى بها الزهر ، حتى زهرها شاء  
 قد ضقت ذرعاً بدنيام ودنيا كما وما سلت بدنيا للناس من نكد  
 سرا ، يساقطه يا بدر مشواً تساقط النور أسلاكاً كأن به  
 يسخرونك أشراراً وفتناً أضأت للناس حتى أظلموا ومضوا  
 تنفض يا بدر أجراماً وأقلاماً ماذا عليك ، إذا أرسلتها جما

وأن ياف شعاع الصبح ديجو وأن ياف شعاع الصبح ديجو  
 فلا يؤرقنا في الروض عصمق مسحورة إلفها بالأفق مسحور  
 يا فجر ، ما شاقه شدو وتصفر يا فجر ، ما شاقه شدو وتصفر  
 في الجوى ، فالطير في دنياه مقر في الجوى ، فالطير في دنياه مقر  
 الطير ، سل عنه أذن الروض مرهفة

يجيبك زهر على الخلجان منشو ويجيبك زهر على الخلجان منشو  
 والقوم سل عنهم الحرب التي وقدوا والقوم سل عنهم الحرب التي وقدوا  
 يجيبك أوتونها بالنار مسعر يجيبك أوتونها بالنار مسعر

أريد يا أيها الماشى على النار أن تستفيق على صيحات أشعارا  
 تدب يا عالمى فوق القطنى عجبلاً غداً ستمضى برب الدار والدار  
 لنيل فى عنقى حق سألذله فى قذف قنبلة أو عزف قيثا  
 النيل إن رامه باغ به طمع رعى بجيش من الأشبال جر  
 النيل فى كنف الأشبال حوزته وهم على رصد لطماع الضار

جروا على مائه والفلك ساسرم جروا على مائه والفلك ساسرم  
 يداعبون خيال المكوكب الساسر يداعبون خيال المكوكب الساسر  
 غداً أغنى وطير النيل سمار غداً أغنى وطير النيل سمار  
 أحمد هيب الحميد الفزالى أحمد هيب الحميد الفزالى

إلى أحكام الدين تقيه مما خالطها من شوائب الابتداع في عقائدها وعباداتها ونظمها ومساوماتها وإن أفتتح تحقيقاً لهذه الآمال الجسام أن يؤلف لجامعة كبار العلماء مكتب على دائم ، وأن يحصل لهذا المكتب مكان معين معروف شأن كل هيئة رسمية أو غير رسمية من الهيئات التي تعمل لأغراض خاصة

أما مهمة هذا المكتب بعد إنشائه فهي ما يأتي :

(أ) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة ، والدين الإسلامي خاصة في عصرنا الحاضر ، والرد عليه رداً كافياً مقنعاً بأسلوب ملائم لطريقة البحث الحديث

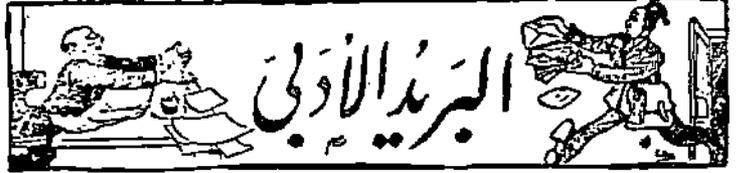
(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك ، ووضع الأصول الكافية بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة ، والعمل على نشر كل ذلك ليرجع إليه الناس ، وتنقطع به أسباب الفتنة والنزاع بين المسلمين وقد سبق للأزهر في عهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخه الحالي أن فكر في تأليف لجنة مشتركة من الأزهر ووزارة الأوقاف مهمتها القيام بهذه الناحية ، وألفت اللجنة قماً برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ إبراهيم حمروش عضو جماعة كبار العلماء ، وسارت اللجنة في عملها شوطاً بعيداً قاربت به النهاية

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوي على بيان ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التي دسست على التفسير وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن ، والتي لا يدل على صحتها نقل ولا يؤيدها عقل ، وهذا يشبه ما قام به رجال الحديث من تجريد الأحاديث الموضوعية في كتب خاصة يرجع إليها الناس

(د) إصدار الفتاوى في الاستفتاءات التي ترد من المسلمين في جميع الأقطار إلى مشيخة الجامع الأزهر

وقد فكرت مشيخة الأزهر الجليلة الحالية في هذا الشأن منذ سنة ١٩٣٦ وألفت لجنة برئاسة أحد أعضاء جماعة كبار العلماء هو المنفور له فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي - طيب الله ثراه - ثم أسندت رياستها من بعده إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير للشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء

(هـ) بحث المعاملات التي جرت وتجد في العصر الحاضر



### اقترح مرفوع الى جماعة كبار العلماء

رفع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس جماعة كبار العلماء اقترافاً جليل الفائدة ، مبارك الأثر ، يتصل بتنظيم جهود الجماعة وتوفير إنتاجها ؛ وقد نظرت الجماعة الموقرة في هذا الاقتراح بجلستها المنعقدة في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٣٦٠ ثم قررت تأليف لجنة من بعض أعضائها لبحثه وتدبير طريق تنفيذه برئاسة حضرة صاحب الفضيلة المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

ويسرنا أن نسجل هذا الاقتراح الهام على صفحات الرسالة ، لأنه دليل على اتجاه حسن ظلال رجواته ودعواتنا إليه وهذا نص الاقتراح :

« إن هيئة كبار العلماء ركن مهم من أركان الإصلاح في الأزهر ، بل القدوة التي يجب بلوغها منكم ليعود إليه أولئك الفقهاء المحققون ، والمحدثون النفاة ، والفسرون المظلمون ، والفقهاء البلاء ، والمؤرخون الصادقون ، وأهلصلاح والنقي »  
« إن هيئة كبار العلماء هي التي يرجى منها أن تكون قاج الجامعة الأزهرية ، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم وحفاظ الشريعة ، ومقوى لنة القرآن لترك الضمير الواجفة إلى علمهم ، وتهدأ النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم ، وتطمئن قلوب المؤمنين لقيامهم حفاظاً ليقين ، وحراساً على شريعة النبي الأمين »

بهذه المبارات الواضحة حددت لجنة إصلاح الأزهر المؤلفة في سنة ١٩١٠ من المنفور لها عبد الخالق ثروت باشا وأحمد تقي زغلول باشا ، وصاحب الهداية إسماعيل صدق باشا أطال الله بقاءه ، الغرض من جماعة كبار العلماء ، وآمال الأمة الإسلامية فيها

ولم تزل الأمة الإسلامية ناظرة إلى هذه الجماعة الموقرة ، ترقب منها أن تكون مصدر خير لها في دينها ودنياها . ترقب منها أن تعمل على إعلاء كلمة الله ، ونشر ثقافة الإسلام وحياتها بما يقويها ، ويدفع عنها فائقة المعتدين . ترقب منها أن ترشدها

من جهة حكم الشريعة فيها حتى يظهر للناس سمة صدر هذه الشريعة ، وقدرتها على تلبية حاجات الناس في مختلف التصور ( و ) : تنظيم طرق الوعظ والإرشاد والاتصال بالهيئات الممدة لتلك كوزارة الشؤون الاجتماعية والجمعيات الإسلامية في مختلف الأقطار وقد نصت على هذه اللجنة الإصلاح التي أشرنا إليها سابقاً بقولها :

« ومنها — تربية هيئة كبار العلماء — تتألف لجنة تنسيق الوعظ والإرشاد ووضع قواعده »

كما عني بها قانون تنظيم الجامع الأزهر الذي وضع في عهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخه الحالي إذ يقول في المادة السادسة عشرة منه ما نصه :

« مادة ١٦ : تضع جماعة كبار العلماء نظام الدعوة والإرشاد وتصدره إلى الجهة المختصة لتنفيذه » (١)

( ز ) : للتغيب عن الكتب المنفذة في مختلف العلوم والعمل على إحيائها وإخراجها إخراجاً علمياً متفقاً والأزهر أجدر الهيئات وأقدرها على الاضطلاع بهذا العمل والوصول به إلى ما يرجى له من النجاح

( ح ) : الإشراف على مجلة الأزهر والعمل على توجيهها في طريق نخدم به الحركة الفكرية الإسلامية ، وتبرز به ثقافة الكليات الثلاث

\*\*\*

هذا هو اقتراحى أضمه أمانة أمام جماعة كبار العلماء للنظر فيه بما أعتقد أنه جدير به من العناية والاهتمام ، حتى يتم إقراره وتنفيذه والله يتولانا جميعاً بهدائه وتوفيقه محمد شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء  
ووكيل كلية الشريعة

مؤتمر الأوربان في لندن

عقد في لندن المؤتمر الدولي للمقائد ، والنرض من هذا المؤتمر الذي رأسه السير فرنسيس يونجهزبند هو نشر روح الأخاء بين بني البشر من طريق الأديان والتفاهم المتبادل بين مختلف المقائد وقد أذيع أن في لنية إرسال كتب ورسالات إلى زعماء الأديان غير المسيحية يطلب إليهم فيها إبداء موافقتهم على المبدأ الذي حوته قواعد السلام الخمس التي وضعا للبايا منذ سنتين

(١) قانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ إعادة تنظيم الجامع الأزهر

وقد أرسلت كتب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراخي شيخ الجامع الأزهر في القاهرة ، وإلى الزعماء الدينيين في بلاد العرب وتركيا والشرق الأوسط عامة ، وإلى الزعماء المسلمين والهنود والبوذيين في الهند وبورما والشرق الأقصى

وقد حضر الشيخ حافظ وهبه وزير الملكة السعودية المفوض

في لندن اجتماع المؤتمر في الأسبوع الماضي ، وخطب في نهاية

الاجتماع الأستاذ يوسف على الذي كان في وقت ما مندوباً عن

الهند في عصبة الأمم والعميد السابق لكلية الإسلامية في لاهور ،

تحدث عن قواعد السلام التي يوحاها مؤتمر الأديان المختلفة

وعقب ارفضاض الاجتماع أفضى السير فرنسيس يونجهزبند

إلى مندوب وكالة الأنباء العربية بمحدث قال فيه : « لقد تلقيت

من فضيلة الشيخ المراخي مرتين ترحيباً صادقاً بذكورة المؤتمر

وتحبيذاً طيباً لمقده ، ونحن على يقين من تأييده التام لفكرة

التفاهم بين مختلف المقائد وتأزرها للوقوف في وجه العدوان

القائم عليها جميعاً . ويعني أن فضيلته هو أحد الذين يقدرون

القيمة الروحية قبل أي شيء سواها »

وبهذه المناسبة نذكر أن قواعد السلام الخمس التي ألفت

إليها تلك الرسائل هي : ١ - حق الأمم جميعاً في أن تعيش مساك

تحت ظل السلام ٢ - الاتفاق المتبادل على نزع السلاح

٣ - توافر الوسائل المذلة لمراجعة المعاهدات التي تحوى مساكاً

أو ظلماً في حق أي شعب من الشعوب ٤ - الاعتراف بمقوق

جميع الأقليات ٥ - ضرورة توفر حسن النية إذا أريد حقاً

للتراضى على سلام مقيم

وفاء موريس ليبلان

توفي للكاتب الفرنسي موريس ليبلان المشهور بقصصه عن

أرسين لوبين في مدينة برينيان

وقد ولد هذا للكاتب في سنة ١٨٦٤ فيكون قد توفي عن

٧٧ عاماً ؛ وهو أول للكاتب الفرنسيين الذين اختصوا بكتابة

الروايات البوليسية . وقد اشتهر بإبتداعه شخصية أرسين لوبين بطل

رواياته . ومما يجدر ذكره أن الحكومة الفرنسية عينت موريس

ليبلان في اللجنة التي عهد إليها تحقيق قضية ستانيسكي المروقة ،

وحدث مقتل المستشار برنس . ومن مؤلفاته : أرسين لوبين الخمس

الظريف ، أرسين لوبين ضد شرلوك هولمز ، الثلث الذهبي ، جرائم

أرسين لوبين الثلاث ، أنياب النمر ... الخ